

القيحة .. الجميلة

تأليف
محمد عثمان



دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

<http://gate.dar-elmarf.com>

تصميم الغلاف: أيمن القاضي

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ - E-mail: maaref@idsc.net.eg

<http://gate.dar-elmarf.com>

إننى كتاب رائع لكل من يريد أن يتعلم شيئاً فى هذه الحياة.
اسمى سحر أى تسحر كل من يقابلها وطبعاً بجمالها أو سحر
أخلاقها أو شخصيتها.

أملك الخيال مثل كل الكتاب، مع الخيال تكون الآمال، ومع
الآمال تكون الحياة بنبضها ورونقها وحلاوتها.

أكتب لكم الحقيقة مع أن الأنثى لا تعترف بالواقع، وتعشق
الخيال حتى لو كان باطلاً.

تعرفت إلى نفسى فى المرآة، فكرهتها، ليست نفسى ولكن
المرآة تتحدث بلغة الحقيقة، ومهما حاولت معها فلا تعرف طرق
الزيف أو الخداع الخبيثة.

المرآة ليست صديقتى، بل عدوتى، منذ طفولتى، كشفتنى،
شعرتى مثل السلك أتألم عند تسريحه، عيونى ضيقة كعيون قرد
حزين، وأنفى معترض على وجوده أساساً فانبعج بطريقة مخيفة،
وأذنى لا أعرف لماذا اختارت هذا المد الخطير وباقى جسدى يزيد
من عذابى، أكتافى عريضة كأننى حامل أثقال، ويدائى نحيفتان
طويلتان كأننى أنتظر شجرة وسباطة موز، التصاق الفخذين أبعد
القدمين، وكأننى أؤكد أنه لا شىء فى الجمال عطف عليه حالى.

إننى أكره نفسى ، لأننى لا أجد فى نفسى جمالا يدعو للفرحة أو الانبهار أو الانحياز ، دعوة للحب جراء جزء من هذا الجمال.. وبالتالي الثقة والعطاء والتسامح الجميل ، الشىء الوحيد الذى كنت أملكه هو ميراثى من جدى والد أمى الذى أدرك أننى أحتاج لحماية ومنذ أن أصبحت فى السادسة من عمرى حتى وهبنى منزلا بالعباسية له إيراد قديم ولكنه تكتم الأمر عن الجميع حتى على أمى وكأنه يدرك مصيبتى وأراد أن يخفف عنى الكبد.

ستسألوننى عن المدرسة وتأثيرها وزميلات الفصل واللعب مع الأطفال أو حتى الجيران.

هل تصدقونى؟!!

لم يلعب معى أحد أو حتى يطلبنى للعب أو حتى أى شقاوة فطرية تلعبها البنات مع الأولاد لاكتشاف أسرار الجسد والفرق بين الطفل والطفلة.

ستسألوننى عن أخوتى ، يلعبون معى لعبة الإهمال ، الذكور يختاروننى لحراسة المرمى وأنا فاشلة أساسا فى الإمساك بالكرة.. وثقيلة الحركة ليس لدى ثقة فى نفسى كبنت ، فلماذا يختارونى فى هذه اللعبة العنيفة لأكون مثل الولد.

نسيت أن أصارحكم بأن السماء أصبحت صديقتي ، أنظر إليها وأعلم أن كل من يدعو الله ينظر للسماء فتتحق أمانيه .
أدعو الله الكثير والكثير ، بدءا من تغيير شكلي ثم بتغيير جسدى وجذب الحب لى ، فيحبنى الجميع ، وأكون رشيقة ألعب وأعيش حياة الأصدقاء والصديقات وأننى أميرة الأميرات .
أجمل شىء فى هذا العالم الأحلام ، أحلامى تأخذنى إلى العالم الفسيح فأكون مثل ممثلات السينما .
أتعلمون من هى صديقتى الحقيقية؟!
واحدة فقط.

إنها الخادمة الصغيرة ، التى يأمرها الجميع ، ولا تعرف اللعب أو الخروج وعليها أن تبكى عند الضرب ، ولا تطمع سوى فى مشاهدة التلفزيون مع الأحلام وكأنها مثلى تتمنى أن تكون جميلة ومرغوبة وتنتظر الفارس على حصانه الأبيض لينقلها للعالم الجميل ، العالم الحلو الذى تشرب منه ولا ترتوى فتعيش عمرها تشرب من ينبوع السعادة والحلاوة.

نهرتنى أمى على أننى ألعب مع (حياة).. نعم اسمها حياة ، فلقد كانت مثل الحياة لى أننا نتكلم ونتمنى ونعيش الأحلام ونفهم معنى أن يكون الإنسان عاجزا عن معنى تذوق المعانى التى تنسج بنبض الحياة.

لم يكن أخوتي على نفس المستوى ودرجة شكلى لا أريد أن أذكر كلمة قباحة، لأننى أملك من المشاعر التى لا يدركها أحد، وأعلم كيف تصيب كلمة قباحة البنت فى مقتل.

أخيرا تركت الطفولة للصبا ليغور جسدى، وتنمو أنوثتى وأخوض تجارب الفتيات فى الدورة الشهرية وما يصاحبها من آلام وخجل وتغيير فى النفس والسلوك والشخصية.

إنها أيام مصيبتى الحقيقية تحول كتفى إلى كتلة لحمية ملتصقة بظهري وبدانة فى أجزاء جسدى لا يجدى معها أى حل. أصبحت شهيتى للطعام تفوق الوصف، أعوض مأساتى بالبحث عن السعادة فى قطعة شيكولاتة تمنحنى السعادة لدقائق لأبحث عن التعويض التالى.

وهجم على وجنتى كمية دهون هائلة، بيثور تنفجر عند لمسى لها وأصبحت لا أعبأ بما نالنى من سوء حظ فأهملت ملبسى وشكلى وكأننى أخرج لسانى للجميع وأؤكد لهم حالى.

فشلى الدراسى، استقدم المدرسين لمساعدتى، أسرح أثناء الدرس. بأن المدرس يعجب بى ويحبنى ويتقدم لى للزواج ويجمعنى معه عش زوجية، وحينما أشاهد فى نظراته الالتزام التام سواء كان مرتبطا أم غيره، أعتذر لدقائق لألتهم قطعة

شيكولاتة أعود بعدها محاولة أن أفهم من علوم لا أفهم لماذا تم اكتشافها وعلى التعلم منها.

فجأة أصبحت لى صديقة، لا أعرف من الذى دفعها لكى تكن صديقتى.. المهم أنها كانت متفوقة فى دروسها أخذت بيدي كثيرا برغم تواضع مظهرى فإننى اكتشفت أنها كانت مدفوعة من أمى لصداقتى لتخلق لى عالما من التعامل ولا أعيش عالم الوحدة، ولا أعلم كيف أقنعوها لتكوّن هذه الصداقة.

أهم ما حدث لى من تطور أننى وثقت قليلا بنفسى، وأصبحت أفهم دروسى وأحسن من مستوى العلمى لعلنى يوما يعجب برأسى وعقلى وعلمى أحد.

تصور طوال حياتى لم يكن لى صديقة سوى الخادمة وهذه المدفوعة دفعا لتكون قريبة منى.

حصلت على الثانوية العامة ودخلت الجامعة الكبيرة، وزادت معها أزمى النفسية لأن كل واحدة لها صديق أو عين زميل تتفحصها وتتقرب منها.. لم أعد أفهم أو أعرف ماذا أفعل؟!!

هل ألبس الحجاب لأخفى شعرى أو ملامحى، ويتقدم لى أحد الشباب لأنه معجب بأخلاقى التى تتمنى وجود الحبيب فى الجوهر ولا تملك أى شىء للمظهر القاسى الذى كنت فيه،

أنظر لكل نظرات الحب بين الزميلات، ونظرات الإعجاب،
أنظر للجمال فى ساق كل واحدة أو عيونها أو التفافها ورشاققتها.
كل واحدة لها مقياس جمال أو منطقة جمال ترغب فى أن
تظهرها وتزيد من تأثيرها، وليس لدى أى شىء أقدمه.

أنظر للجميع فى حسد، الكل يمتلك ولا أملك شيئاً..
وأحلامى تعذبنى كل ليلة بأننى قد أصبحت جميلة أو حتى
متوسطة الجمال.

لا تعلمون ما تملكون، الجمال نعمة والقبح نقمة، أرى بعينى
جميلات يهدرن جمالهن فى علاقات خائبة مع رجال، تنتهى
أحياناً بالانتحار أو الانحراف فى طريق المتعة بالزواج العرفى
أو الانفلات العاطفى والهروب إلى ضغط الانحراف.

لو ملكت هذا الجمال لاستخدمته لتحقيق كل الأهداف، فعلا
إن من يملك شيئاً لا يعرف قيمته والحرمان هو أعظم مدرس
إنسانى فى التاريخ.

مرض والدى وكنت دائماً بجواره، ورحل بعد صراع مع
المرض، وأخيراً ورثت المال من أبى والبيت الملك من جدى،
وأصبحت على أعتاب سن الرشد.

كل أخوتى يتوددون لى لأننى أملك منزلاً كبيراً الكل يطمع فى
هدمه والبناء فوقه وأنا لا أوافق أو أعترض.

تقدم الشباب لأختي ليتزوجوها، وفوجئت أن والدى كان لديه ثروة كبيرة كان حريصا عليها، وحينما آلت هذه الثروة لأخوتي أصبح الجميع يحقق أحلامه.

فالمترزوج بدل شقته بأخرى أو سكن فى فيلا بالمدن الجديدة، والتي كانت يتردد الرجال فى التقدم إليها، أصبح عرسانها كثيرين. حصلت على الشهادة وبقيت فى البيت مع التليفزيون وأحلام اليقظة منتظرة أى شىء ممكن أن يحدث ليغير حياتى.

لم يتقدم لى أحد برغم مالى وثروتى، ربما لم تكن بالقيمة الكبيرة التى تغرى أى رجل للتضحية بعمره من أجل المال.. المنزل الموروث بجوار قطعة الأرض مبنى كبير، جاء السمسار، ونظر لحالى وما أملك.. سألتنى أن أدخل شريكة فى المشروع. فكرت لما لا؟!!

جن جنون أخوتى.. إنهم يريدون كل شىء لهم، قررت أن أكون جزءا من المشروع، واستعنت فى ذلك بمحام ومحاسب من أصحاب خبرة.

الكل يتودد لى، لم أكن أعلم أن جدى قد ترك كل هذه الثروة. منزل العباسية، تم هدمه، وإضافة أرضه إلى مول تجارى كبير، وأصبحت أؤجر المكان بالتر شهوريا وأحصل على الآلاف.

وكل هذا وحالي يؤكد لي أنني وحيدة، كل يوم أجلس للمحامى
أستمع إليه والمحاسب وأخيرا السمسار الذى أشار على بفكرة
الاندماج.. لديه قدرة هائلة على اجتذاب الناس لأفكاره وآرائه.
يجلس إلى يشرح الخطط، وكيفية الاستفادة من كل متر فى
هذا المول الكبير واقتررب منى أكثر وسألنى عن حالى والرجال
الذين من الممكن أن يتقدموا لى (لأن كل واحدة لها نصيب وكل
فولة ولها كىال ولازم هايجى النصيب جاى جاى).

اقتررب منى مجدى السمسار، فهو الصادق الذى يضمن أعمال
الجميع ويكون الوسيط الجيد بين المتعاملين ولقد أعطيته الثقة
بالاستعانة بالمحامى والمحاسب فى كل خطواتى.

لم تعد تغلح معى الأحلام، أو الأمنى، أو خداع المرآة، حتى
جاءنى مجدى السمسار بعففى التاجر الذى يريد أن يشتري
محلا مميزا لى، برغم أن هذا التاجر أكبر عمرا إلا أن صوته
المقنع أشعرنى برغبة فى أن أتعرف إليه أكثر.

امتدحنى عففى، لىس بالجمال، ولكن برقة المشاعر وطيبة
قلبى ورغبتى فى عمل الخير.

يتحدث كثيرا عن أعمال الخير، وسألته مجدى لماذا أحضرتة
هل يريد أن يتعامل معى مباشرة؟.

صارحني مجدى بأن عفيفى سىء الحظ فى حياته وأنه فقد زوجته، يبحث عن زوجة وأنه يمر بضائقة مادية، ولكنه من أثرياء طنطا ومن الممكن أن تمر هذه الكبوة بسرعة إن وجد من يقف بجواره.

سألته بفضول حاد.

- هو عايز يتقدم لى.

- طبعا يا أستاذة سحر.. هو هيلاقى أحسن منك فين؟

- كدت أرد عليه طبعا هيلاقى وهيلاقى ومفيش أسوأ من

كده.. وإيه اللى مآخره؟.

- إن حضرتك توافقى على عرضه لأن سنه كبير وكده.

وهكذا دبت الدماء فى عروقى وبدأت أشعر أن هناك من

الرجال المستعد أن يتقدم لى ويقبلنى على حالى.

لم تمض دقائق، حتى بدأت أغنى أغانى الحب وأنظر للمرأة

أحاول أن أتصالح معها، وأكاد أبكى من الفرحة.

- هناك رجل يريدنى.

اتصلت بكل المعارف، وبحثت فى ذاكرتى عن صديقاتى

لأزف إليهم الخبر، وفتشت فى أوراقى القديمة لعلى أجد اسما

من الأسماء التى تهتم بى، وتتذكرنى وتشاركنى سعادتى.

أسى العجوز، فقدت الأمل فى . فتكومت مع المرض وكتمت
الشكوى والألم فى انتظار يد القدر بلا رجاء أو حتى دعوة للانصاح.
علم أختى عبر الهاتف أن هناك عريسا، فرح مجدى
السمسار فالسمسار يهيمه الإنجازات وبالتالى الهبات.

اتصلت بالمحاسب أسأله عن رصيدى وأكد أنه تخطى
الملايين، اتصلت بالمحامى أسأله عن الاحتياطات المؤكدة ولم
يكن الاتصال تجنب المخاطر بقدر ما هو مشاركة فعالة لما سيؤول
إليه حالى الجديد الرائع.

كل هذا، ولم ينطق عفيفى بكلمة واحدة ليعبر عن نفسه
أورغبته فى الارتباط بى.

سكت الجميع فى انتظار ما تسفر عنه الأيام، فلم يعد أحد
يريد أن يسبق الحوادث، فربما أنا واهمة، وليس هناك إلا
كلمات متناثرة هنا جعلتنى أعيش خيال الرجل وأن هناك من
الرجال من يرغبنى ويربط عمره ومستقبله بى.

فعلا مضى يومان ولم يحضر عفيفى وكنت فى هذه الأيام أذهب
للكوافير أحاول إصلاح أى شىء. حتى إننى ذهبت للنادى محاولة
أن أحرك جسدى المتبلد ليكتسب جزءا من الليونة، بل إننى حاولت
أصلح من ملابسى وحركات جسدى ليظهر جزءا من الأنوثة الهاربة.

أنظر للأفلام العربي وكأنتى أشاهدها لأول مرة، أتصور نفسى
سعاد حسنى فى قبلة مع عمر أو رشدى أو شكرى أو أى أحد.
ياله من خيال هائل أن يعيش الإنسان مع قصص الخيال قصة
قصة وروعة روعة..

جاء مجدى السمسار كالعادة دون موعد ومعه عفيفى،
واستقبلتهما الخادمة عند الباب وبلغتنى، فدق قلبى دقات هائلة
من الخوف والرعب الذى لم أعهده من قبل.

دخلنا الحجرة وأنا أتقلب بين الملابس أحاول أن أختار هل
اللون الأحمر المثير أم السماوى الحالم أو الأخضر الغنى أو.. أو..
وأخيرا لبست ملابس متناقضة مع بعض فى ارتباك انتظارا
لرأى العريس.

كدت أسقط من طولى، فجسدى غير المتناسق، لم يقو على
حمل جسدى المتخاصم مع بعضه.

لم أعد أسمع شيئاً غير همسات عفيفى، وكلام مجدى،
وأيقنت أننى على أعتاب مرحلة جديدة.

أحضرت الخادمة الشاى وقدمته وأنا أنظر للملامح عفيفى،
هل فعلا لى القبول عنده، أم أن مجدى يؤلف قصص خيالية
ليوهمنى بأشياء وأشياء، كل ما أريد سماعه هو أنه يتقدم لى.

- أخيراً نطق مجدى وأنا أنظر لعيون عفيفى التى كانت تستنجد بى أن أوافق.

فهمت من مجدى أن المحل سيأخذه عفيفى ويشاركنى فيه وسيسدد مع الأيام، وأنا سنصبح فيما بعد عائلة.

تحركت ملامح عفيفى عن ابتسامة صغيرة، أما أنا فلقد عرفت معنى الابتسام، بل كدت أن أصرخ فرحة وأفتح نوافذ الشقة والبلكونة وأصرخ بأعلى صوتى.

- عريس جه..؟؟.

- أنا حلوة أهوه

اتسعت ابتسامة عفيفى، والرضا فى عين مجدى، وكأننا أصبحنا متفقين على كل شىء.

نظرت فى الأرض خجلاً، وكأننى أكتم كل مشاعرى، والحيرة فى عين مجدى تؤكد أننى إما ساذجة أو ممثلة والحقيقة المؤكدة أننى سعيدة لدرجة (الهبيل).

عفيفى تجرأ أكثر، وبدأ يتحدث عن المستقبل، ومجدى سعيد، فلقد نال الرضا ولم يعد أماننا إلا إجراءات توثيق الاتفاقيات، كعادة كل السماسرة، مجدى يتحدث عن الإجراءات المستقبلية بتفاهل حذر. أما أنا انشغلت بتفحص ملامح عفيفى، تخطى

الثلاثين بكثير بفرق شعره الناعم، أبيض البشرة، نظارة طبية رقيقة، عيونه واسعة بأهداب مؤثرة، شارب دقيق على شفثيه دقيقة تجذب الابتسامة بالكاد، أنف دقيق وكأنه مدرس فصل يلقي الدرس بإسهاب، متوسط القامة رشيق الحركة، رجلا لم أكن أتمنى فى حياتى أفضل منه، فى بداية العشرينيات أبدو كأننى أكبر عمرا وهو تخطى الثلاثين وقارب الأربعين ولكنه الرجل الذى دق له قلبى.

حينما هم بالانصراف وتلامست يدينا شعرت بدوار، فهذه اليد سوف تتجول فى جسدى وفى نفسى تنشر الفرحة والبهجة لجسد لم يعرف معنى لمسة حنان أو حب أو نشوة حتى ولو كانت زائفة.

لم أرد أن ألس شيئا آخر أو أغسل يدي، يدي سعيدة هذا اليوم، لم أرغب فى مشاركة أحد سعادتى، أنام مستلقية على الأريكة فى الشرفة أنظر للسماء وأشكر الله على نعمته على فلقد منحنى معنى لوجودى ومعنى للحياة ذاتها.

اتصل بى عفيفى يتحدث إلى - سعيدة كل السعادة - ، وعندما حدثته عن زوجته.. ورحيلها.. بدا الحزن فى صوته لا يريد أن يتحدث عنها لأنها تحمل ذكريات صعبة مؤلمة وهو يريد

السعادة في مستقبله معي.. ووعدته بعدم ذكر أحاديث الماضي وأصبحت سعيدة بحديثه، والتهمت كالعادة الطعام في سعادة، بعد كل محادثة هاتفية.

وأخطرت أخوتي بموعد حضوره ليتقدم وحضر ومعها أخته تتحدث ولكنها تنظر إلى ملامحي متفحصة ملامح الجميع المستنكرة هذا الحدث وكأنهم رتبوا أنفسهم على ميراثي ليلتهموه. أخيراً، انطلقت الزغاريد، نعم أسمع صوت زغرودة، وكأنني شيء يعلو في السماء، عفيفي يبتسم لي، سيأخذني بين السحاب. لقد استقدمت الكثير من أجل هذا اليوم من الكوافير ومتخصص الجمال لإظهار أى لمسة من الجمال وبدأت أشعر بشيء من الثقة في النفس.. مع ابتسامة عفيفي كانت الدنيا مقبلة على بوجه جديد. لا تسألوني عن السعادة، فلقد اكتشفتها، معنى السعادة بعد الحرمان هو أفضل شيء في هذا العالم، إن معنى الانتصار العظيم هو بعد الهزائم المتلاحقة وهكذا شعرت بالسعادة الحقيقية.

فرحت أنا وهو وتلامست يدانا.. وشعرت بمعنى أن أكون أنثى تطمع في الكثير والكثير في هذا العالم الذى يعطى ويحرم من يشاء.

لم يتركنى أهلى فى حالى، بحثوا ونقبوا عن عفيفي، واكتشفوا أنه متزوج، وأنه يمر بضائقة مالية، وعليه شيكات

إن لم يسدها فمصيره السجن وهناك كمبيالات إن لم يسويها
سيكون مصيره الإفلاس.

لم أخط بأى سعادة حقيقية سوى أسبوع واحد تتلاطم فيه
الأمواج مع سفينتى الصغيرة المتهالكة.. لتحطمها على صخور
الحقيقة مرة واحدة، بكيت، وتمنيت أن يحضر ليقابلنى ليكذب
على أى كذبة لأصدقه فوراً وأسامحه وأمنحه كل شىء.

لم يحضر عفيفى، علمت زوجته، وأجبرته على التخلي عن
خطته، برغم بكائى الحاد، وشعورى بالإهانة إلا إننى لم أتنازل
عن مشاعرى الجديدة، ولم أستسلم، داومت على الذهاب إلى
الكوافير، ومعاهد التجميل والرياضة، وأحاول أن أكسب الثقة
فى حديثى أو تجوالى وسيرى على الأقدام وملابسى المتنافرة.

وتأكدت حقيقة واحدة أننى مطمع لكل من يريد المال،
ولا يعلمون أننى مستعدة لمنح كل مالى من أجل جمالى.

قد أتى الكوافير، وقال لى قولاً جميلاً وأقنعنى بأننى من
الممكن أن يتقدم لى أجمل رجل فقط على بالصبر والثقة.

ووعدنسى فى زيارتى المقبلة له: سيكون هناك نصيبى وعلى
انتظار المفاجأة.

لمت مجدى السمسار، وطبعاً قد أغدقت عليه بالمال فى
موضوع عفيفى، ولكننى لم أكن أتصور أنه سيخجل ويعيد

ما وهبته له ، لأنه متأكد أنني حصلت على مشاعر تنقصني وكنت أتمناها.

وكانت مفاجأة لم أكن انتظرها بعد انتهاء جمال (عامل الكوافير) من تسريحى ، قال لى اتفضلى حضرتك فى الكافتيريا. نظرت إليها.. كافتيريا تضم المقاعد الشاغرة والمشغولة بثنائى شباب وشابات لم أجلس إليها ولا مرة واحدة حتى مع عفيفى. جلست على أقرب مقعد ، ولم تمض ثوان حتى تقدم شاب طويل القامة معشوق القوام كمثلى السينما يتقدم إلى المنضدة وكأنه فارس يرقص بالمشاعر ويتقدم كأنه يرقص على حبل سيرك ، نظرت إليه ، إنه يتقدم نحوى ، لم أصدق ماذا يريد منى هذا الرجل.؟! - الآنسة سحر.

- أيوه أنا فى حاجة.

- ممكن أعرفك بنفسى ولم ينتظر.

- أنا نبيل.. صديق جمال (عامل الكوافير).. شفتك أكثر من

مرة عنده وأعجبت جدا بك يا هانم.

- صوته له سحر.. كلامه عسل مصبوب ، معقول هذه الوسامة

تتحدث لى وتعجب بى كل ده فهل هذه شفقة على أم إنه يطمع فى مثل عفيفى النذل.

ابتسمت له وللقدر، إننى أعيش لحظات الحلم، لم لا
استثمرها حتى النهاية.

الحديث منه أسمع كأنه نغم أبتسم وأنا سعيدة وأنظر لمن
حولى أؤكد لهم، نعم أنا مع هذا الجمال، أتناغم معه الوقت
والحديث وتمعن النظر بعضنا البعض.

كنت أتمنى أن يعود والدى للحياة وأن يتمتع بما أعيشه
ويعلن ابنتى لم تعد قبيحة وجدى الغالى الذى وهبنى ماله ينظر
إلى بابتسامة عريضة لقد عوضتك عما فاتك وكنت على صواب فى
منحى المال لك لوحدك، وأمى تستيقظ من فراشها، وتشاهدنى
فتتعافى. يتحدث وابتسم ولا أفهم أى شىء كل ما يحدث هو
فوران دمى، وصعوده إلى وجنتى وتصيب العرق منى فأصبح
الماكياج مع حبات العرق عجيب يصعب تجفيفه، لم أصدق نفسى
وهو يلمس يدى، ويتحدث إلى فى موضوع لا أفهم منه شىء سوى
أننى أهر رأسى موافقة على كل كلمة وكأننى أتابع كلامه.

يدها رائعتان، حيث تلمس أصابع يدى، أرتجف، أشعر
بالبهجة وعينان تتسعان لتعبيرا عن سعادة قلبى الذى يدق بعنف
شديد.

مضى الوقت على وأنا أتمنى ألا ينتهى، طلب لى مشروبا إضافيا
كنت سعيدة وأنا أتناوله وكأننى أنثى تؤكد هويتها لأول مرة.

جاء جمال بابتسامة، فكل الأمور كما توقع، لقد استطاع
نبيل أن يسيطر على مشاعري ويتعرف على ويتقرب مني
ويجذبني إليه.

أصبحت عاشقة في ثوان، قد أقول لكم ذلك فتعتقدون بلاهتي
أو سوء قصدى أو حتى سذاجتى، إننى أريد أن أكون مثل غيرى.
أريد حقى على هذه الأرض، ما ذنبى إن كنت بعيدة عن
الجمال، ما ذنبى أن أتمنى رجلا فقط فى الأحلام وأثناء مشاهدة
التليفزيون أو فى مكان بعيد خفى يحتضن شاب فتاة يهيم بها
ويتمنى احتضانها وتقيلها.. لم أتذوق معنى الحب أو حتى
التلامس أو المشاعر، أتمنى أن أتذوق يوما قبلة تعبر لى عن
الحياة، وتعبر بى من حالة الركود والسكون إلى حالة الغليان
والفوران، أريد أن أصرخ حبا وألما ورغبة وحياة وحرية وحركة،
أريد أن أتنفس كل المشاعر دفعة واحدة.

جمعتنا نحن الثلاثة الابتسامات وبدأ الحديث بين الاثنين،
يدفعنى أن أعيش لحظات مع نفسى أحس بها وأشعر بدبيب
قلبى الرائع الذى يتوافق معى، ماذا يريد نبيل منى؟! إنها
مجرد البداية.

خرجنا نحن الثلاثة إلى السيارة.. حيث إنني لم أحصل بعد
على رخصة قيادة لخوفى من القيادة لكيلا أرتكب أى خطأ..
ركبنا سيارة جمال إلى محل صديق له.. للغداء..
لم أكن آكل إننى أتذوق كل لقمة يتناولها نبيل، لم يهمنى
إن كان أحد يراقبنى من أهلى أو تقع عين أى إنسان على..
لا يفهمنى أحد، لقد وجدت أخيراً رجالا حولى ووجدت حقى..
تغدينا ودفع الحساب جمال، وأعتقد أننى ركبت السيارة
التي يقودها نبيل لمنزلى، وكأنى غازية أتيت بأسير من بين
الناس إلى سكنى.

اتفقت على الاتصال، سعدت وكأنى رشيقة وفى خفة
الريشة إلى شقتى، وجلست بجوار أمى فى فراشها أتمنى أن
تلاحظ سعادتى وتشاركنى مشاعرى الجديدة.

تمنيت أن يأتى أخوتى جميعاً لأعلن لهم النبأ.

– كما تزوجتم وكما وجدتم نصيبكم فى هذا العالم، فأنا الآن
مستعدة أن أعيش حياتكم، وهناك من يطلبنى.

أرجوكم لا تحسدونى عليه، أعلم أنه رائع فى كل شىء
كالحلم إنه وسيم الطلعة وصوته موسيقى، وأكيد وجد فى شئنا
مختلفاً جذبنى إليه.

نظرت للسماء أدعو ربي.

يا رب أسعدني بهذا النبيل، يارب احمني من أى مصيبة
ممكن أن تهزمنى أو تهزمنى.

إننى راضية بنبيل بكل شىء فيه إن كان مفلسا فلدى المال، وإن
كان عليلا أو مريضا سوف أرقد بجواره لأداويه وإن كان يتسلى بى،
فأتمنى ألا يمزقنى ويفرق بى، فأنا هشة لكل ما مر بى من مشاعر
وتجاهل ويأس وحزن على ذنب لم أقترفه، وأتمنى أن تساعدنى فى
أن أعرف طريقى وأن أكمل حياتى طبيعية فى سعادة.

كل ما أتمناه خمس سنوات، من السعادة، وبعد ذلك لا
يهمنى الموت فى النهاية.

المهم أتنى أريد أن أتذوق الحب، أتنى أتعهد لك لو كان
مرتبطا أو متزوجا وسأكون الزوجة الثانية فإننى موافقة أتقاسم
معها الأيام ولو كان متزوجا من أربعة يكفينى أسبوع من الشهر.
إننى موافقة بأى شىء موجود فيه نبيل، أو أى موقع يقوم
بالعمل فيه إنه يقول إنه موظف حكومة، حتى لو كان عاطلا
سيعمل لدى، موافقة موافقة.

كان هناك اتفاق على موعد، اكتسبت الثقة بالنفس قليلا،
التوتر هو سيد الشاعر كلها، أدركت ذلك أختى، سألتنى عن
أحوال، ببساطة شديدة أجبت بكل ما لدى.

مشاعر أختى نحوى أفهمها تعتقد إننى ساذجة وساقطة من حساب المجتمع ولولا صدقة الميراث المتوالى على لما أصبحت فى الحالة التى أنا عليها.

أتذكر والدى ونظراته، وكأننى حيوان جريح، لا أمل من شفائه وكيف أنه برحيله استراح من الحياة وأسترحت من نظرات الشفقة وكلمات المواساة وكأننى العذاب الأكيد.

تركت أختى إلى أحلامى، وأعلم أنها أبلغت أخوتى بما أنا بسبيله ولا تعلم أنى أدركت من العمر الكثير والمعرفة التى تحمىنى، وأننى لا أريد فى الحياة إلا القسط اليسير كالأذى تتمتع به وتعيشه كل يوم.

نبيل.. كالقمر.. تقابلنا فى موعدنا.. تلامست أيدينا.. بعيدا عن جمال وبعيدا عن أى قيود.

نبيل يستمع إلى، على ضفاف النيل، وموسيقى حالة تجمعنا وأضواء خافتة تخفى عيوبنا، سواء شكلى أو حتى كذبه وتملقه لى.. فلا أنا بالجميلة أو اللبقة أو حتى المتحدثة الجيدة.

حينما يستمع إلى يبعد يديه، وحينما يتحدث تلامس يده يدى كأنه يجرب استجابتى، أستجيب لكل ما يحدث وما ينوى عمله بى وكأننى ساحة معركة خاوية من المقاومة.

وحينما خرجنا إلى الطريق، سحب يدي إلى ذراعه، أننى
أتأبط ذراع أجمل رجل فى العالم، من أنا؟! حتى أكون هذه
الفتاة الجذابة أو المرأة المثيرة، أشعر أننى داخلى جمال.. ولماذا
لا؟ ألسنت من البشر.

سألنى:

- إزاي لحد دلوقتى ما عندكيش عربية؟.

- أصل أنا يخاف أسوق.

- هاتى عربية وأنا أعلمك السواقه.

ابتسمت مستسلمة.

- ممكن طبعاً.. حاسأل المحاسب يشتري لى بكرة واحدة.

فاجأنى.

- وليه؟ تعالى؟!

أخذنى إلى معرض سيارات قريب من المكان.. وتحدث مع
البائع وجلسنا مع صاحب المعرض.. نشرب مشروباً.. وسألنى:

- معاكى دفتر الشيكات؟.

رديت على الفور.

- أيوه معايا.

- طيب إيه رأيك تختارى أى عربية دلوقت.

نظرت للسيارات البراقة الألوان.. وقلت فى بساطة:

- اختار أنت.

أشار إلى سيارة حمراء.. لها بابان.. وكانت رائعة الجمال..

سألته بكام؟

قال المبلغ البائع:

فنظر إليه نبيل بحدة وسأله أن يخفض السعر حتى وصل إلى

تخفيض ٢٠٪.

أمرنى بابتسامة أن أحرر له الشيك.

لا تصدقوا، دفعت الشيك، واستلمت مفاتيح السيارة والرخصة

وأعطيتهم ببساطة إلى نبيل الذى أدارها.. وابتسم لى أن أجلس

بجواره.. ثم بدأ يتحرك وأنا بجواره.. بابتسامة.

- تعالى أعلمك.

أمسكت بعجلة القيادة.. وأنا أديرها يمين ويسار ويحتك

جسدنا فى متعة كأننى أطيّر فوق السحاب.

وصلت إلى منزلى أعطانى الرخصة والمفاتيح.. وسألنى أن يعر

على فى الصباح لتسجيل السيارة فى الشهر العقارى لأننا تواعدنا

مع صاحب المعرض على ذلك.

هكذا كانت أول ليلة لى أشعر فيها باختيارى لشيء يخصنى،

سيارة مثل إخوتى، وشاب رائع يشاركنى اختياراتى، لم ولن

أستطيع أن أشرح لكم شعوري ، ليس سعادتي ، ولكن خوفي من انهيار أحلامي.

جاءتني أول مكالمة هاتفية منه ، صوته الموسيقي أيقظ في أحاسيس جديدة ، ومشاعر أتمنى أن تتحقق ، أتحدث في الهاتف بطلاقة ورغبة أكثر مما يتوقع أحد حتى نفسي ، هل المشكلة في الشكل لكي أكون أكثر قوة وصراحة ، وثقة ، وتعبيرا عن ذات مكبوتة عمرا تدرك حقيقة نفسها؟ الهاتف سر المرأة ، وخاصة معدومة الثقة في نفسها أو التعبير عن ذاتها.

تتحدث المرأة في الهاتف لتقول الكلام الذي تتمنى أن تحكيه وتصدقه وتعيشه ؛ فالهاتف متعة والحوار معه هو الدنيا كلها. نبيل في موعده ؛ بق الباب ، كنت أتمنى أن تكون الخادمة موجودة لتفتح الباب ؛ بل كل جارة تفتح بابها لسبب أو لآخر لتشاهده وأنعم باغتباط لمشاهدة الجيران له ، يلبس بدلة أنيقة... رباطة عنق تؤكد على ذوقه ، رشاقة في الحركة كأنه راقص رائع. - صباح الخير.. قالها لي وشعرت بأنني أجمل إنسانة في العالم.. اتفضل اشرب شاي.

دخل إلى الشقة... وسألني عن والدتي.. وذهب إليها في هدوء في غرفتها وصافحها.. وتبادل معها الحديث.

تنظر إليه وكأنها تشاهد رجلا لأول مرة.. وتنتقل ببصرها بينه وبينى واجتذبت برغم آلام المرض ابتسامة وكأنها تبارك لى كل ما أقدم عليه ، ثم أغمضت عينيها ، ربما تعتقد أنها فى حلم وأن كل ما يعرض عليها هو كوابيس أو أحلام الأمانى يأتى لها فى عمرها هذا.

أمسكنى من يدى وخرج إلى الباب ، عليه جرأة لا تفسير لها عندى ، ورد فعلها الوحيد هو الاستسلام التام.

كل الشارع ينظر إلى ، وكلى سعادة أقفز فى خطواتى ولا أسير على الطريق حتى وصلنا إلى السيارة أعطيته المفتاح وخرج بى إلى الطريق إلى الشهر العقارى ، ووقعت كمشتريه وأنا سعيدة أننى أمتلك سيارة حمراء بها صديق تعرف على والدتى ودخل بيتى وأمسك يدى وغزا قلبى وابتسم لكل كلمة أنطق بها.

أصبحت السيارة ملكى ، يقودها هو ، جلسنا وتعدينا وقلت له على حسابى وأصر على أن يدفع الغداء بنفسه ، أعلم أن صاحب المعرض أعطاه عمولته فى بيع السيارة ، وأنه أصبح بسببى يملك المال الذى سينفقه على.

أخذنى إلى مكان بعيد ، لأتعلم القيادة ، لم أكن مرتيكة ، لقد أوصلنى للثقة بالنفس والأمان لأننى بجواره ، وأصبحت أستطيع

أن أنقل السرعات وأتحكم فى المكايح (الفرامل) وكل ما تحتاجه القيادة من فنون كل هذا فى يومى الأول وأصبحت أتواجد معه لكى أقود السيارة، وأصبحت فعلا جميلة وتألقت عيني.. استجاب شعر رأسى لمشط الكوافير، الكل ينظر لى على أننى تغيرت.
كنت أخشى حسد الناس وغيره البنات والعيون المتفحصة لى وله وكأننى لا أستحقه.

فات الأسبوع الأول.. والكل ينتظر منى أن أعبر عن التطور الحادث، كلما تزداد أرباحى فى المول، وأحقق النجاح المادى كلما جاء إخوتى يحاسبونى.

بمنتهى البساطة قصصت على نبيل أحوالى، ابتسم فى ثقة.. ثم أوصلنى إلى البيت وتقدم حتى باب الشقة معى.. وقبل أن أفكر قال :-

- قدمينى على أنى مدرس السواقه ومدير أعمالك الجديد.. لم أناقشه، قلت مثلما قال لى.. وأنا أقدمه لهم.. وأمرت الخادمة بإحضار الغداء لنا.

صافحته أختى فى حيرة وغيره فى نفس الوقت، أما أختى فنظر إليه بابتسامة مستفزة وجلس معنا على مائدة الطعام يسأله وكأنه يحقق معه.

نبيل يلتهم الطعام فى سعادة ويثنى على حلاوته ويجيب على أختى باستفاضة ، ولم أكن أتوقع أنه بهذه الثقة واللباقة والأعصاب القاهرة التى لا تلين، أو تخشى نظرات الآخرين. سألته ماذا يفضل.. فطلب كوبا من الشاى.. حضرته بنفسى وقد تركت أختى معه حتى أتحرر من محاولة الدفاع عنه فهو من الكفاءة بحيث يرد بما يحقق الهدف من وجودنا معا.

سألت نفسى حقيقة ما الهدف؟

- الصداقة.. الأمان.. الحب.. هل ممكن أن يكون ذلك ، تعנית أن ينتهى غليان الماء لأصب الشاى وأخرج من المطبخ الذى ورطت نفسى فيه عندما أعلنت بأنتى سأحضر الشاى بنفسى فلقد أقنعنى الجميع أن نفسى فى الشاى هائل.. رغبة منهم فى استخدامى فى أى عمل أو إكسابى الثقة بنفسى وربما فعلا أنتى بارعة فى صنع الشاى مع أنه أبسط حكاية فى دنيا المطبخ.

قدمت الشاى ، وأختى كأنه يعصر بأسئلته ونبيل مازال على ابتسامته وكأنه قائد سيدخل المعركة والنصر حليفه سلفا. ودعته على باب الشقة وببهجة من لا يصدق نفسه. - أختى ده صحيح مدير أعمالك؟

- أيوه.
- وأنتى محتاجاه فى إيه؟
- ببساعدنى فى كل حاجة.
- تعرفيه منين؟
- عرفته وخلص أنت متضايق ليه؟
- أصل شكله نصاب.
- نصاب.. وامتقع وجهى.. نصب على فى إيه؟!
- فى العربية اشترتها بكام؟
- طيب مافكرتش أنت ليه تجيبى لى عربية وتعلمنى السواقه وتخفف عنى وحدتى.
- آه قولى كده العملية كده.. يعنى أنا ما عملتش تجيبى واحد يعمل.
- لا أنا مش هاموت بالحيا، أنا هاشتغل وأكسب وأخرج..
- وأتعلم من الدنيا.
- هايسرق فلوسك.
- نظرت له بتحدى.
- طيب مين اللى عايز يسرق فلوسى؟.
- أنت بتتهمينى بأنى عايز أسرقك، ده أنا كان ممكن أظعن فى ميراثك من جدك وأقاسمك أنا وأخواتى لولا أنى عملت بصلة الرحم.

– أرجوك يا بهجت ماتكلمش معايا فى الحاجات دى لأننى
مش ناقصة.

– لا.. ده بيت العيلة.. ومش من حقك يجى ويتصرف
معاكى ومالوش صفة.

– ما طول عمر المعامى والمحاسب والسمسار بيجوا البيت
وطول عمرك بتطلب منى فلوس سلف وما بترجعهاش، ولا
دلوقتى حسيت أنه ها يضيع منك الكنز.. إذا زاد الكلام عن كده
أنا هاتصرف تصرف مش أخوى وأنهى المناقشة واحمى نفسى
منك أرجوك مش عايزة نخسر بعض.

ثم نظرت له بحدة قائلة :

– أنت شايف أن حظى فى الدنيا شوية، ماتستكترش على
النعمة أو أى راجل يتقرب منى ده أنا أختك برضه.

وانخرطت فى بكاء حاد.. وتركته إلى غرفتى ألمم الآمى
وبكائى وأحزانى والحقيقة المرة التى تضجر حياتى وتقلب
مضاجعى وتنهك مشاعرى.

ونظرت للمرأة التى أكرهها، زادنى البكاء قباحة، بعد ما مس
الأمل جفاء حياتى وارثويت به، وتفتحت زهور وجنتى وعينى
وشفتى فإذا بى أسقط من أعلى على الحقيقة المرة.. إننى قبيحة.

لم أنم ليلتى، وأتمنى أن يكون لأخى الذى أهاننى جزء من الضمير يؤنبه على ما اقترفه فى حقى.

جاء هاتف نبيل فى الصباح، دق قلبى، وانتعش أملى، وتجددت خلايا جسدى وتعנית أن أكون الجميلة.. حتى لو كان هذا هو الحلم البعيد.

تحدثت إليه أحاول إلغاء كل ما أصابنى من أهوال ليلتى.. واتفقنا على أن نتقابل، قابله عند سيارتى، وقادها إلى المكان الذى سأتعلم فيه القيادة، ارتبكت ارتباكا شديدا، لم أعد أثق بنفسى.

لكن نبيل الرائع، استطاع ببساطة أن يثير فى كل الأحاسيس مرة واحدة بلامسته ليدى وأجزاء جسدى، شعرت أنتى أفور من داخلى، وتغلى الدماء فى كيانى ورأسى وأنى أريد أن أتهور وأنطلق، وإذا بى فعلا أنطلق بالسيارة.

إنه الأستاذ، الذى لا يفهمه بهجت وغيره، هذا الذى يحدث الاحتياج حينما يجتاح المرأة والرغبة عندما تثار والانطلاق إلى أبعد حد، وماذا تريد المرأة أكثر من ذلك.

إننى لا أريد أن أكون آنسة، بعد اليوم، أريد أن تثور فى الدماء وأتحول لامرأة ولو ليوم واحد أتذوق فيها طعم رجل يفتح داخلى طريق المعرفة والحب والنعمة التى هى من حقى أن

أطولها وأصل إليها وأمتع بها وأصرخ كغيري في نشوة... لقد أصبحت امرأة كاملة تتذوق معنى الحياة التي هي هبة لا يمكن أن ترفضها أو تلفظها نواقيس الأنوثة.. الصداقة في أذني، أننى أريده وأننى سأبيع عمري من أجله.

ذهبت للغداء معه، ثم ذهبنا لمكان على النيل، ويده مطروف به أوراق.. هي أوراقه كلها.

شهادة الميلاد شهادة التخرج في كلية التجارة.. صورة بطاقته الشخصية.. كل ما يتعلق به.. سألته عن أهله.

- والدي.. كان تاجرا كبيرا.. متوفى من سنتين.. أخواتي بيديروا الأعمال.

فرحة بقصته سألته:

- تجار إيه؟

- تجار مانيفاتورة.. يعنى تجار قماش وكده.

- طيب ليه مش بتشتغل معاهم.

- الحقيقة اشتغلت وطريقة شغلى ما عجبتهمش.. تركت

الشغل ولى نصيب كل شهر.

- طيب ما دام من عيلة كبيرة ليه ما عندكش عربية.. وإيه

حكاية شغال فى الحكومة اللي قلتها لى أول ما تعرفنا ببعض.

لن أنسى ملامح وجهه هذه المرة، ملامح جادة صريحة واضحة، بعينين عميقتين بدأ الرد:

أنا فعلا من عيلة كبيرة، مشكلتهم أنهم بيعتبروا أنفسهم بيعملوكوا الإحساس والمشاعر ويفقهوا في الأصول، لكن أنا متأكد أن العيلة الأصيلة.. هي اللي بتسامح وتحمى أبناءها مش تعاقبهم أنا مش فى خصومة مع أهلى ولكن فيه عدم أمان وثقة بينا، والدى قبل أن يموت كان عايزنى أشتغل معاه، سيبت كلية الهندسة علشان أكون فى كلية التجارة اشتغلت معاهم وكنت كفتا فى تطوير المحلات سواء فى الحسابات أم اتساع النشاط أم الاتصال بالعملاء، كان فيه مشروع جواز، أرجوكى بلاش نتكلم فيه وهو السبب اللى خلاهم يبعدونى عن الشغل، فكرت أنى أشتغل فى الحكومة واتعلمت حاجه مهمة، مش مهم المظاهر أهم شىء الشاعر، جرحهم ليا وتحميلي كل مشاكلهم ومشاكل العمل خلانى أفضل أكون لوحدى بعيدا فى عمل ثابت سهل، الصبح فى ميعادى أمضى وقبل ميعادى أمشى على النادى أو القهوة أضيع الوقت.

الشاب الضايح محدش يلومه إن عمل علاقة أو أفلس أو أصبح عبثاً على عائلته، أنا عندى ميراث سايبه ليهم يدونى نصيبى

بطريقتهم لكن مش معنى كده إنى ضعيف، القوة عندى فى العطاء وبذل السعادة للآخرين.

ابتسم مرة واحدة وسألنى أن أسلفه مبلغا نقديا، فوجئت أنه مبلغ كبير، ووافقت دون تردد، سحبت من البنك، وأخذنى لمحل كبير معروف واشترى لى بعض الهدايا.. منها دلالة للعربية نظرات الناس تدهشنى، أتساءل هل أستحق هذا ؟ أم لا أستحق هذا الرجل أم أننى ساذجة أشتري الرجال، لا أفهم تعبت من حساب عيون الناس وتحديقهم فى.. قال صاحب المحل لى:

- هدية منى علشان أول مرة تزورينى.

ابتسم نبيل، وأوصلنى بسيارتى إلى بيتى، وأعطانى النقود كما هى صممت على أن أعطيه السلفة ولكنه أصر كعادته بابتسامة مقنعة، تركنى.. وأنا متسائلة عن مستقبلنا ولكنه كان فى موعده يتسلم مكتبه وعمله.. ويبدأ فى التعرف على كافة الأعمال.

مضى الأسبوع الأول وأنا أتحدث إليه كل يوم، حتى جاء وقت إجازته فخرجت معه ولم تكن عادة بهجت الحضور يوم الإجازة ولكنه حضر ونظر إلى وأنا أتزين لهذه المقابلة وكأننى رخيصة أذهب لعملى كعاهرة.

حضر نبيل وكانت سيارتي فى انتظاره، أصر على أن أبدأ
بقيادتها وفعلت وقلبي يدق وبعد فترة اكتسبت الثقة وقلت له :
- كفاية.. ده أنا اتقدمت قوى.

خرجنا إلى الطريق، وهناك جلسنا، وسألنى كعادته :
- هانتعشى مع بعض طبعاً.

- أنا نفسى أحس شوية.

- أنتى عملت مجهود كبير فى النادى.. وعليكى أنك تكملى.

- على فكرة.. أختى الكبيرة هاتحضر معنا العشا.

- احمر وجهى واضطريت كيف سأواجه أخته وبأى صفة
سأكون ولماذا لم يخطرني مسبقاً.

أكمل عباراته وهو يحدق فى :

- أنا مرضتش أقولك من الأول علشان مش مهم قوى تعملى

حسابك وبعدين ممكن أعتذر لها.. يعنى ممكن كل اللى أنتى
عايزاه.

أخذت أحسب بسرعة الموقف وابتسمت لعلها تكون بداية

الثقة بيننا وأنى سأستطيع توظيف كل شىء لمصلحتى.

بهدهوء تام جلسنا معا وطلبنا العشاء لثلاثة أفراد، كان طبق

من الكباب الكبير.. وبعض من السلطات وأخيراً حضرت أخته

منى.. لا أستطيع أن أصف وصفها فهى جميلة مثل نبيل بل ملكة جمال ، تنظر إلينا بابتسامة وتقدمت منى ، قمت بارتباك وقبلتها وأنا أحاول أن أستجدى شجاعتي وألملم شعر رأسى المتنافر.

كانت تأكل كأميرة تنظر للرجال المعجبين ببساطة وكأنها مدركة لنظرات الإعجاب كشىء طبيعى وتقديرا لرصيدها. بدأنا الكلام عن كل شىء، وكانت مصغية إلى تشجعتى ، تفهمنى تمنيت أن تكون لى أخت مثلها، وبعد أن تناولت الشاى اعتذر نبيل لتدخين سيجارة ولم يكن من المدخنين ربما من أجل أن يتيح لى ولأخته فرصة للحديث معا. سألتنى وكأنها تطمئن.

- تفتكرى لو نبيل اتقدم لك . من الممكن أن الأمور تمشى سهلة.

- احمر وجهى وشعرت بدوار، ولم يقو لسانى على الرد وكأنه ملتصق بسقف فمى وتوترت يدى واستجمعت شجاعتي متسائلة.

- هو سالك فى كده.

ببساطة :

- أيوه بس كان عايز يعرف رأيك.

بدأت أستجمع ثقتي بنفسى وبدأت أنطق الكلمات المتوترة.

- علاقتى به علاقة صداقة وعمل وأنا باحترمه وأتمنى أن
علاقتى به يعنى العلاقة.. بمعنى أنه لو اتقدم أيوه يعنى لو اتقدم
هاكون سعيدة.. لأننى مش هلاقى أحسن منه.

سكت ونظرت لكوب الشاى أستجمع كل ما قلته وكل ما
عرض على وأشعر أننى فعلا محظوظة بهذا اللقاء.

جاء نبيل ونظر إلينا وقالت له أخته بلباقة:

- إحنا اتكلمنا واتفقنا، أنت شخصية ممتازة.. وأنا سعيدة
جدا وباقولك مبروك وشد حيلك علشان تدخل العش الذهبى.
نظر إلى نبيل مستفسراً:

- يعنى موافقة.

الفرحة ضغطت على الكلام فضاع، وضاع صوتى معه، ولم
أجد إلا رأسى أهزها فى توتر زائد.

نظرت منى إلى حقيبتها قائلة:

- هاروح دلوقت أفتكرك.. إحنا ممكن نيجى نزورك الأسبوع
الجاي وألف مبروك.

قبلتها كأننى أقبل أجمل امرأة وأجمل خبر وأجمل شىء فى
الحياة.

أخذنى نبيل من يدي إلى الطريق تأبطت ذراعه ، أنه رجلى
ولى ولن أتخلى عنه أو عن الأمل الذى يجعله لى.

إلى الآن لم أتذوق طعم الفرحة ، هل يقبلنى كما أنا أو يطمع
فى أو يشفق على؟!

هل من الممكن أن أتذوق السعادة معه كأى زوجة مع زوجها.
لم يضيع الفرصة نبيل أخذنى للمقطم حيث القاهرة تتلألاً
تحتنا وفى مكان هادئ ضمنى إلى صدره.. وأنا مغمضة العينين ،
التصقت القبلة وارتجفت من الإحساس الأول الذى كنت أتمناه..
وأغمضت عيني مستسلمة ، لو أمرنى أن ألقى نفسى فى النار
لألقيت نفسى دون تردد وغير نادمة.

نظرت لعينيه لأتأكد أنه يعيش نفس الحالة من التحليق فى
عالم الجمال والمتعة والخيال والأمان.

كان يقرأ كل ما بداخلى فى غمضة عينيه . فلم أعد أقرأ أى
شئ عنه وتركت نفسى لأفكارى إن كانت حقيقة أم خيال.
لم أنشغل بمشاعره أو ماضيه أو أى شئ ، أريد أن أنقذ نفسى
من مشاعرى ومن حياتى غير الآمنة.

لم أعد أتساءل أريد أن أعيش بين السحاب ؛ لماذا السؤال؟
لماذا القلق عشت حياتى كلها قلقة فليكن ما يكون.

عدت لمنزلي ، لم أقو على الصبر تحدثت مع الجميع وأنتى سعيدة بحصولى على الزوج المثالى.

استسلم الجميع لى ، فلم يعد أحد يهتم بأن يثير أسئلة قد تضايقتنى فأنفعل أو يقوم بإثارة مشاعر تثير الخصام بين الإخوة. كنت أتصل به يوميا ، وهو يصف العمل ومشاعره بمنتهى السهولة واليسر وكنت أتمنى أن نتقابل ثانيا لنعيد التلاقى ، وينعش المشاعر وأحلق بعدها فى السماء.

مضى الأسبوع ثقيلآ جدا.. جاء هو وأمه وأخته وأخيه الكبير والبيت كان فى أفضل حال.. واستقدمت طباخا للعشاء وصنعت الكثير من التغييرات فى الأثاث والإضاءة والشرفة وكل شىء ممكن أن يثير النقد أو التساؤل ، جلس الجميع ، تحدث الكل فى مسائل عادية. وتعرف أخى على العائلة ، وقد كان يعلم عنها كل شىء ، وكأنه يتمنى أن يفشل نبيل أو تأخذه مصيبة وأنا أيضا معه ليرثنى ، وكأنه منزوع القلب والعاطفة ويعتقد أن الجميع طامعين لأننى مسخة ومن غير المعقول أن يعجب بى أحد.

كنت مرتبكة ، نظراته تطمئننى ، حضرت أمى بصعوبة ، وتمنت لى السعادة من كل قلبها وكأنها تعيش على هذا الأمل.

لم يحاول نبيل أن يتحدث فى التفاصيل بل أكد أنه يريدنى كزوجة وأنا نحدد معا المواعيد كلها.

كانت ليلة تمنهاها أى فتاة، وبدأت أحاسب مشاعرى المنطلقة، هل يحبنى لذاتى أو لطيبة قلبى أو أى ميزة متواجدة فى.

لم أكن أقدر على التفكير الصائب، فلقد انهارت كل أعصابى مرة واحدة، ولم أكن أتوقع يوماً أن أكون مثل باقى الفتيات أو النساء أن يكون بطلها هذا الرجل الرقيق الوسيم الذى تنبهر به كل النساء من أول نظرة.

قد يكون فى ضائقة مالية مثل عفيفى أو يريد أن يبحث عن مرفأ أو ملجأ، سأكون له هذا الملجأ إن أراد مهما كانت العواقب. إن الأحاسيس الرائعة لا يمكن مقايضتها بأموال العالم كله. سأكون له الزوجة والحبيبة وكل شىء يريده حتى لو كنت الخادمة المطيعة أو الجارية.

لم أستطع أن أقرأ شيئاً سواء عينيه أو أعين الحاضرين كل ما كان يشغلنى هو كيف تمر الدقائق لكى أعيش حياة العروس التى لديها الرجل الذى سيطير بها، إننى لم أكن أنتظر أنا أظير فعلاً.

خرج، وعينى وقلبى تدعو له وأن يحقق كل أمنيه على يدى. وبدأ أخوتى يتحرون عنه ويحققون ويحللون كل كلمة بينى

وبينه أو تحدث بها إلى أحد منا، وهكذا انتهى اليوم الذى كنت أسعد إنسانة فيه إلى نشر الشرخ فى علاقة وليدة والشك فى نية إنسان يتقدم للارتباط لبناء حياة أسرية جديدة.

بدأت فى تدعيم نبيل، بمرتب عال، فسيصبح زوجى وعليه الالتزامات وبدأت أخرج معه كعروس.

منذ اللحظة الأولى التى شعرت فيها بحقى لديه . وركبنا السيارة قادما إلى جبل المقطم حيث تتلأأ الليالى وحيث إن القاهرة كلها أمانا بكل ما فيها من أضواء ومساحات ومباني وعالم، تلامست يدينا واقشعر بدنى وسخنت وجنتى وتدفقت الدماء فى جسدى وألهبت أنفاسه، فكدت أجن لا أستطيع أن أعبر عن نفسى أخجل أن أخوض تجربة فأفسيها.

لم تكن هى أول قبلة بل إنها الجنة، أبواب السماء تستقبل فرحة منطلقة من قلب لا يعرف إلا الانغلاق. ليعرف معنى السعادة الغامرة والمشاعر الفياضة والانطلاق.

لم تكن قبلة واحدة، ولكنها قبلات، إن أبواب الجنة قد فتحت أبوابها على مصراعيها ولا تريد أن تغلق الباب لأحد حتى إن ذقت طعم النعيم، وتعلمت شفتاى طعم شفاه الحبيب . وليس أى رجل ولكنه عربسى رجلى حبيبى حياتى.

غرق جسدى عرقا وسخونة ورغبة، جاء كوب عصير طلبته
شربت العصير البارد، ما أحلى ترطيب الشفاة بعد القبلة أو العناق
إننى لا أريد أن أكتفى أريد أن تتطور الأمور للأكثر أحلق فى
السحاب وأنطلق للقمر وما بعد القمر إلى الكون الفسيح الذى تكون
فيه المتعة هى المسيطرة وسيدة كل المواقف.
عدت إلى المنزل سعيدة، عدت وأنا أحمل فى قلبى دقات غير
طبيعية، دقات السعادة.

لم تكن الأمور صعبة كما تصورت بل إنها سهلة جدا، ولم
تعد الشاعر المتدفقة ترهقنى بل أصبحت تثير فى الرغبة أكثر
وأكثر لأتعلم وأعيش حياة المعرفة والسعادة فى الحصول على
المتعة الحقيقية.

تأكدت أنه يحبنى ودليلى على ذلك، أنه لم يتأفف من
القبلة ما لم يكن يشفق على بل يبادلنى إحساس بإحساس ورغبة
برغبة.

زيارة بعد زيارة، انطلاقة بعد انطلاقة، حتى جاء اليوم الذى
تأخر عنى بسبب المواصلات، قررت أمرا لم يكن يتوقعه أحد
حتى هو شخصيا.

فلقد اشتريت سيارة له وقدمتها له فى عيد مولده الذى كان
قريبا من موعد خطوبتنا.

عيد ميلاده.. وقد أصر على أن نحتفل فيه سويا، أحضرت مفاتيح السيارة.. وبعد أن تعشينا وكالعادة أخذنى بعيدا حتى يتسنى له فرصة القبلات التى بدأت أعود عليها.
بعد أول قبلة أهديته مفتاح السيارة وأنا فرحة، لم يصدق نفسه وسألنى:

- ليه؟!!

- لأنك اديتنى أجمل حاجة وعايزاك تفتكرنى كل يوم.
وهكذا شعرت أن يديه تعبران عن امتنانه وقلبى بدأ يقفز بين ضلوعى فلقد بدأت يديه تتحسسان أجزاء جسدى وخاصة المناطق التى تقترحم فيها أنوثتى، انفعلت وبدأت أتجاوب وأشعر أننى أمام عالم جديد يحاصرنى فيه وأنا مستسلمة تماما له.
ثم بدأت فى همسة فى أذنى قائلا أمتى هانقرب أكثر أنا مش قادر.

الرد المناسب دائما هو أننى مستعدة وجاهزة فى أى وقت طالما رغبت فى ذلك.
فقلت:

- اللى أنت عاوزه.

أغمضت عينى وكأننى غبت عن الدنيا وإذا بجسدى يتعرض لموجات من الرغبات الجامحة التى أسعد بها ولا أتمنى أن أفقدها.

استيقظت من غفوتي ، إلى السيارة ، إلى مكان بعيد ، وإلى شقة
تفتح وأضواء خافتة وشراب سريع .. وفراش بعيد ، وملابس تخلع
وسعادة جامحة تخترق كل الحواجز حتى إننى شعرت أننى
أصرخ صرخات متتالية ، وأستلقى على صدره متنهدة ، مستنجدة
ألا يتركنى وحدى مع مشاعرى ، منهكة ، مستسلمة غائبة عن
الوعى ومحلقة فى السماء من السعادة.

غادرنا المكان إلى حيث السيارة التى قادها إلى منزلنا ونظرت
إليه كأنه الملك وأنا جاريتته التى تنتظر أوامره لتليها ولم يهتم
بكل من فى الطريق . وأمسك بيدي وقبلها قائلاً :

- شكرا على الهدية .. مش عارف إزاي أشكرك وأقدرك
وأعوضك وأقدم لك زيبها .

كدت أن أمسك يديه لأقبلها وأعترف له بكامل إرادتى
وأعلنها .

أنا جاريتك يا سيدى .

خرجت من السيارة وأنا تائهة وغير نادمة ، خطواتى كأنها
تسير على طريق يهتز وعيناي لا تقو على معرفة أى من حولى
وأيا كان ما حدث فأنا أشعر أننى لست أنا بل إنسانة جديدة ..
ولدت اليوم .

لم أتحدث مع أحد، رفضت الاغتسال وكان الفراش يناديني،
لا أريد أن أستحمى حتى لا أزيل آثار المتعة المتقدة فى نفسى.
بصعوبة بالغة، خلعت ملابسى، ولبست ملابس النوم،
مازالت رائحته تملأ أنفاسى، أتساءل:

هل الحياة لها معنى بدون الرجل، الرجال، تكتمل النساء
بهم وأجملهم وأكملهم نبيل، ملك عالمى وقدرى ونصيبي وحسن
حظى.

لم أشعر بنفسى إلا بضوء الصباح الذى يغمر المكان وكأننى
متأكدة أن الصباح الجديد هو الصباح السعيد، فاتصلت بنبيل،
صوته قد تغير فى أذنى، لقد أصبح يشعرنى بقشعريرة وكأننى
أريده أن يعيد مرة ومرات الحوارات التى كانت بيننا.

ذهبت إلى الحمام لأستحم، والماء الساخن يزيل كل شىء
حتى الأوهام، فلقد نظرت للمامحى ولا أصدق أن هناك من أعتنى
بى وبجسدى وأوصلنى لكامل المتعة، أتمنى أن أكون يوماً جميلة
لأنال من الحياة كما نالت غيرى هذا القدر من الحب والتقدير.

لم أكن أتصور أن الحياة الوردية من الممكن أن تكون ملك كل
الناس، وهكذا كنت مترددة وغير مصدقة أن الحياة من الممكن أن
تهدينى الأمان والثقة والحب.

أشعر أن خلايا جسدى مختلفة، ونظراتى مختلفة بل إن كل حواسى مختلفة.

لم أعد أستطيع الانتظار، على الإفطار، بدأت فى التفكير فى إنهاء إجراءات الزواج.. فاتصلت بالمحاسب أطلبه أن يجهز لى شقتى وبسرعة وأنتى سوف أخرج مع نبيل لشراء مستلزمات الشقة من الأثاث.

لم يعترض المحاسب لأن أى اعتراض سيقابله منى توبيخ وانفلات فى الكلمات التى لا يمكن له أن يردها أو يصددها.

ولم تمض ساعة حتى اتصلت بنبيل، وجاء لمنزلى، وتقابل مع ابتسامتى وسعادتى والخادمة بيننا تقدم له شاي تحاول أن تخفى أى تعبير على ملامحها.

كأننى أنتظر منه أن يمارس كل كلمات الحب والرغبة والغرام، وكان سيد المواقف، بدأت فى شرح خطوات الزواج التى أنوى القيام بها، وهو يستمع بابتسام وواثق من كل كلمة يقولها وكأنه يعلم مقدما صيغة الحوار بيننا.

اقترب منى وأمسك بيدي ورفعها لشفتيه ليقبلها بحرارة وأبعدها قليلا قائلاً:

- أنا مش عارف أشكرك إزاي على العربية.. وعلى الوقت الجميل اللى قضيته معاكى.

– أنا مش عارفة أقولك إيه أنت فتحت قدامى أبواب كانت مقفولة.

– طيب تحبى نعمل إيه دلوقت.

– نشترى العفش ونعيش فى العش.. وابتسمت ونظرت إليه نظرة أحاول أن تكون جذابة.

قدته إلى المكان الذى لا يمكن أن يسلبنا فيه أحد من وقتنا شيئاً.

فى غرفتى، فى حجرة نومى، والخادمة فى الخارج، وأمى فى فراشها، كانت الأوقات سعيدة ممتعة معه.

اطمأن قلبى له، سألته وهو يللم ملابسه:

– امتى يا نبيل؟

رد وكأنه مستعد للسؤال جيداً.

– الخبيس الجاى.

احتضنته وقبلته وسألته.

– جاهز لكل حاجة؟

– نظر لعينى بابتسامة واضحة وكلمات واثقة.

– كل إمكانياتى تحت أمرك؟!

وهكذا تم الاتفاق.

لم يخطر ببالي لحظة أن كل هذا الهناء أو السعادة له نهاية أو مفاجأة، كنت أعيش لحظات السعادة، ومتأكدة أنها إذا انتهت فيكفيني ما ذقتة منها.

إن الحياة من الممكن أن تنقلب على الإنسان أو الحالم أى حادث يقلب الحياة إلى النقيض.

كنت واثقة من نبيل مهما اهتزت الدنيا من حولي، فأنا مطمئنة إليه كأننى نائمة على صدره ويحتويني بين ذراعه دائما. فرشت الشقة وأنفقت الكثير، واحترت الحائكة (الخطاطة) فى ملابسى ولكننى نجحت فى أن أجذب كمية من الجمال للماحى وكأن السعادة تقلب الدمامة إلى النقيض.

فتح باب الشرفة، وجلس على مقعد وبيده كوب من عصير الفاكهة، مازلت أحلق فى سقف الحجرة وأنا فى أقصى لحظات السعادة. أفكر فيما آل إليه حالى، وفيما يفكر فيه نبيل وهو بالشرفة، هل يحبني، ويعشقتني مثلما وصل إليه حالى.

للرجال أذواق، ولا يمكن لأى رجل أن يتجاوب مع واحدة إلا إذا كان هناك من يجذبه إليها.

هكذا أحصى عدد الأيام والساعات والليالى التى تفصل بيني وبين الأسبوع القادم حيث سيتم اللقاء.

ماذا يفعل ويفكر نبيل في الشرفة؟!
لبست ملابسى ، وتوجهت للشرفة بعد ما فتحت الباب المغلق
وسألته عما يفكر في الغذاء.
- نفسك تأكل إيه؟
رد بابتسامة وهو ينظر لعيني.
- نفسى.. نفسى فى السمك.
وهكذا تغدينا فى الشرفة مع أطباق الأسماك الفاخرة، يأكل
منها وينظر إلى كأنه يأكلنى بعينيه وشفتيه وأسنانه.
طلبت من الخادمة أن تتصل بمحل أسماك معروف وتعد
الطعام فى الوقت المحدد وعشت أتحدث معه عن حياتى يستمع
لى ويعقب وقت اللزوم، وشعرت فعلا أننى جميلة.
مضت الساعات هنية، وأكلنا واستمتعنا بيومنا، وشعرت
بثقة هائلة تطوف فى أرجاء حياتى ووالدتى فى حجرتها تشعر
بسعادتى وتشعر أننى قاربت من لمس القمر وأنها ستطمئن على
فى نهاية عمرها.
لم أكن غائبة عن طلبات نبيل المادية، دون أن يسأل، أهياً
كل فترة رزمة أوراق مالية بدون أن أتساءل عن قيمتها أو أين
سيكون إنفاقها.

تعلمت كلغة العروس الفراشة أو الطائر المغرد وتعلمت الاندماج
الجسدى بين الرجل والمرأة وتعلمت كيف أصغى للموسيقى
والأغاني.

أتأبط ذراعاه القوى بيدي وكأننى طفلة لا تدرى عن العالم
شيئا.

مستسلمة ، مطيعة ، أنظر إليه كأنه إله إغريقى يقدم له الرعايا
القربان.

موعد الفرح ، هو أهم ما يميز الحديث الهاتفى بنبييل وبين
صديقاتى وأقربى والكل يعد بالحضور فى الميعاد ليس حبا فى
أو حبا فى الزواج ولكن حبا فى النميمة كيف تزوجت القبيحة
وتحولت إلى جميلة وكيف أن أكون عبرة لمقولة إن كل فولة ولها
كيال ، وأننى مصيبة هذا الزمان الذى يقترن فيه الجمال بالقباحة
وأن الرجال عميان وأن المرأة مخادعة ورهيبة وأنه تزوجنى من
أجل مالى أو زهق من دنيا الإفلاس لمن تشتريه بالمال لتحصل على
روحه وحياته وحده.

أعلم فلست بهذا الغباء لكى تغيب عنى الحسابات ولست
بحسن النية لا أحسب حساب الناس عن خبايا مشاعرهم
وضميرهم.

دقات الطبول والكوافير والزغاريد، كلها مصنعة وأمى
خرجت من حجرتها لتشاهد السعادة فى عيني، لأخفف من
وطأة عذابها لإنجابها بنتاً فى مستوى جمال أو قباحتى.
لم تكن الأمور سهلة، ولكننى استطعت أن أوظف كل
إمكانياتى لأحقق الهدف الأسطورى والخيالى.

عائلته الكبيرة، لم تكن سعيدة، بل صامته مصمته لا تعبير
مرضياً ولا كلام يعبر عن حقيقة المشاعر أو الرضا عن هذه الزيجة.
فستان الفرحة، والزغاريد، صوت الدفوف ودموع الفرحة فى
عين أمى هى كل ما يميز لحظات السعادة.

أما عيون الحسود أو العوازل أو نظرات المعجبات أو المتسائلات
فى فضول عن حياتى كل هذا أرغمنى على أن أشعر أننى فعلا
أنتمى لنادى المهمشات، غير الواثقات من الجمال أو حتى
الحب، حتى لو جاء به القدر مدة واحدة فى غفلة من الزمان.
مضت الساعات هنية، منحوتة فى ذاكرتى، حتى الآن.
إن الأيام الحلوة والفرحة حينما تغزو الإنسان ينسى التعاسة
والأحزان، إننى كنت السعيدة الأميرة برغم القباحة التى طالتنى
وأول من اعترفه بها هى نفسى المسكينة.

طافت بى السيارة القاهرة، وصلت لغرفتى فى فيلتى القريبة
من ضواحي القاهرة.

حملنى عريسى برغم ثقل حجمى ، بأنحاء المنزل حتى غرفة
نومى ليذيقنى نعيم المتعة ويتلاعب بأصابعه على أوتار السعادة
المطلقة فى أنحاء نفسى وجسدى.

المرأة تدرك مشاعر المرأة وتعلم كم هى المتعة ليلة الدخلة ومتعة
التحول الجسدى فى المشاعر وكيف يتحول الصمت والسكون إلى
أصوات الهياج لإرضاء شهوة جسد محروم ، كنت منطلقة إلى أقصى
حد ، أتصور فى نفسى أشياء غير موجودة كأننى أجمل امرأة أو
أننى أعيش حلم وعلى أن أستنفد حلاوته لحرمانى الطويل منه
وخشيتى أن ينفد وبالتالي أحرم منه فأعيش تعيسة محرومة.

لم أكن أتوقع أن أخلع ملابسى كلها بهذه الرغبة والبساطة
ولا أنه سوف يأكل من جسدى وكأنه شهى ومرغوب وأن
تستكمل العلاقة ، وكأننى فتاة جميلة يشتتها حبيبها ويتمناها
ويسألها فى سعادة الحصول على الغرض ولا يرغب فى الانتهاء
من حلاوتها.

لست بالغباء حين أشعر أننى ظلت السحاب ، لست ساذجة
حينما أعتبر نفسى محظوظة.

فى الصباح الباكر نظرت إلى نفسى فى المرآة أنا متألقة وسعيدة ،
صحيح المرآة لا تكذب ولكنى أحاول أن أبدأ معها عهدا جديدا .
لم تكن الأيام صعبة ، أو غير متكررة ، أو اللحظات عابرة .

لكننى لا أنكر أننى قضيت أفضل وأروع شهر عسل فى حياة أى
عروس فكما وجود القدر للناس بالجمال يحرمهم من أشياء كثيرة.
الصباح التالى، عشقنى وأشبعنى، اعتقدت أننى فى الجنة
والأرض قد تركتها بغير عودة.. أنظر للملحى، قد تغيرت،
وثقتى بنفسى قد تبدلت وأننى أصبحت إنسانة جديدة سعيدة.
مع الأيام وحلاوتها ومتعة النزوات والأطعمة الفاخرة
والسهرات فى ملابس السهرة.. استطعت أن أعيش العمر وكأنه
بدأ منذ ليلتى الأولى.

وكان القدر رحيم بى بدأت منذ الشهر الأول أشعر بانقطاع
الطمث والغثيان والرغبة فى التقيؤ وكأننى أعيش تجربة الحمل،
لم أصدق إلا أن أكد الطبيب ذلك.

فرح نبيل وفرحت أمى وكشر عن أنيابهم أخوتى وأهله وكان
الدنيا محرمة على وعلى أن أعيش أوهام السعادة فى عالم الخيال
أو الجنة التى أتخيلها.

صار الحمل متعة واللقاء الزوجى متعة والعمل الذى يدر الربح
للإنفاق متعة.

لم يكن يقلقنى سوى الحمل، ومنغصاته، ولكنه إحساس
جميل رائع أن أكون أما، وأن أفكر فى الرضاعة، وأفكر فى حجرة

للمولود وسنقبل المولود وكل ما يخص الجديد فى حياته وأحلامى
تسبقنى كيف ستكون الحياة الجديدة فى أسرة من أم وأب وطفلة.
كنت بارعة فى أطباق الطعام، ليس الجمال الظاهرى يؤكد
أنها امرأة تطبخ جيدا ولكن الفن فى إدارة شؤون المطبخ من أكبر
الفنون التى تظهر فيها المرأة والزوجة تفرداها.
نبيل كما هو، العاشق، القادر على إسعادى الدائم والمستمر،
ترقى فى العمل وأصبح هو الناصح الأمين.
الزيارات الأسبوعية مستمرة من أهلى، وطلباتهم المادية زادت
بدرجة أكبر وأنا ألببها فى سعادة وخجل وكتمان.
همسات الناس أننى اشتريت رجلا وسيما تصل لأذنى دون
أن أسمعها ولكنى أدرك كلمات العيون والنظرات الخاطفة.
مازال نبيل يحببنى برغم مرور الشهور وما زال يمنحنى الأمان
والثقة وأننى فعلا جميلة وأنظر للمرأة بدون غضب بل برضا،
فهو يجد فى أشياء كثيرة غير موجودة فى نظرات الآخرين.
حتى جاء وقت المخاض، وأخذنى إلى المستشفى الخاصة
وتعلقت ببديه لأننى خشيت الفراق والموت والحرمان من السعادة
التى أحلق فيها تمنيت أن تكون السعادة التى وهبها لى القدر
ما زالت لى، وما زال لى فيها باقى من الجرعات التى سأعيشها
وأتنفسها وأكمل رسالتى كغيرى.

حنانه يدفئني لمسافة تشجعني ، أخيرا شعرت بآلام المخاض
ومعاناته وعذاباتة ، سأصبح أنا ، سأمنح البشرية طفلا .
أجمل صوت في حياة المرأة ، أول صوت لطفل يعلن عن
وجوده حتى لو كان صراخا أو بكاء.. إنه صوت الحياة التي
يؤكدها هذا المخلوق الجديد الضيف الوافد القادم المستمر حتى
نهاية قدره.

طفلة.. ابنتي.. سعادتي ، كبدى ، حياتي ، أحبها ، أتنفس
من روحها.

احتضنتني زوجي ، وأصبحت حياتي الزوجية كباقي البشر ،
زوج ، زوجة ، وطفلة أى أصبح هناك كيان ومستقبل وآمال .
قبلني وهنأني زوجي.. وحضر أخوتي ، ولم تستطع أمي
الحضور ، ولكنني حينما انتقلت من المستشفى إليها.. كادت
السعادة تبكيها وأمسكت بيد نبيل في امتنان كأنها تقول له لقد
بعثت الروح فى بعد أن أشعلت نار السعادة مع ابنتي وأصبح
لى حفيدة.

لم تكن الدنيا صعبة ، فقط أحلام ، هل جرب أحدكم حياة
الأحلام السعيدة الدائمة؟!

أستيقظ على حب زوجي ، ابتسامة من طفلي ، التي أخذت
من والدها كل ملامحه الرائعة.

بمرور الأسابيع والشهور أصبحت الأمور تتطور للأفضل
أصبحت أزور وأتزاور مع الأصدقاء، وأصبحت أتقبل نظرات
الفضول والتساؤل عن الجميل وأنا أو الحلو وأنا، أو أنه من
الممكن أن يكون الطامع فى أو الذى يتسلق الرغبة من أجل
تحقيق مراده وأنه سيأتى اليوم الذى تنكشف فيه الحقيقة .
عيد ميلاد ابنتى كان الفرصة العظيمة التى أصبح فيها مؤهلة
لأكون سيدة مجتمع .

زملاء الدراسة والجامعة والعمل وأسرهـم حضروا الحفل الهائل
وكيف جاء الساحر والأراجوز وغيره من مطالب الأطفال وتوزيع
الهدايا على الحاضرين ، هكذا كانت السعادة .

تعودت أن أكون أما، وتعودت أن يشاهدنى الناس والعيون
المحدقة بى ولا أتساءل إن كانت تنفر منى أو تعجب بى أو أى
شئ من هذا القبيل ، فالطفولة والأمومة تلهى المرأة كثيرا عن
النظر لجمالها ووقعه على الناس والمجتمع .

أصبحت لنا عادة زيارة النادى والغداء مع الأصدقاء والأهل ،
وأهل نبيل لغز ما أزال لا أفهمه يتقدمون بهدوء ويرحلون دون
التسبب فى أى إزعاج ، يتهامسون الحديث فى أمور صعبة
أو مزعجة أو تؤدى للاحتكاك وكأنتى بت مريضة داخل مستشفى
وعلى الزوار اتباع التعليمات من أجل صالح المرضى .

لم أكن أنوى أن أنتظر كثيرا، من أجل التجربة الثانية فى الحمل، فالحمل يؤكد أنوثة المرأة ونضوجها ودورها.

مع الآلام الوافدة من الغثيان والدوار والوهم تأكدت أنني أمام التجربة الثانية لأؤكد الأمومة الرائجة فى جسدى وأؤكد أنني مازلت مرغوبة وأنثى وخصبة كالأرض الطيبة.

ابتسم نبيل فى سعادة وبدأ يعتنى بى كالعادة.. وخرجنا معا إلى النادى كعادة يوم الإجازة وتقابلت مع عزة التى أصبحت صديقتى القريبة والناصحة المفيدة.

ليه ما تسافريش أمريكا ده هناك البيبى بياخذ الجنسية بالولادة وكمان ممكن أبوه وأمه ياخدوها دى أمريكا يا سحر حاجة كلها سحر، حلم الناس والشباب أعظم بلد فى العالم. استمعت إليها وأشركت نبيل فى الحديث، وكان على دراية بهذه المحاولة التى يقدم عليها الكثيرون من أجل الحصول على الجنسية الأمريكية.

قال ببساطة:

- ممكن نسافر فى الشهر التاسع وعندى معارف، وبعد الولادة بشهر نرجع تانى.

كان يبدو عليه التوتر فسألته فقال إن أمريكا بلد كبير وبعيد ومن الأفضل أن نتريث فى هذه الفكرة.

وبمرور الوقت وشدة الحمل ، وتحسس الجنين داخلي شعرت
بأننى أريد له أفضل حياة ممكنة.

نبيل يلعب مع مى ويقول دائما فى أغنية تلازمه معها:
مى مى ملهاش زى.

سألته وأنا على فراش السعادة المواظب عليه بمتعة كالعادة:
- إيه رأيك نقدم على التأشيرة دى؟

سكت وكأنه يستجمع قوته عايزه رأس مال فى الحساب
والغرض من السفر وشوية حاجات كده.

وهكذا استطاع مجدى المحاسب أن يتواصل مع شركات
أمريكية ودعوات للزيارة وحساب كبير فى البنك وذهبت للسفر
وزوجى يتحدث الإنجليزية بطلاقة.

سألته فى انبهار:

- يعنى كمان شاطر فى اللغات.

- أصلى كنت فى مدرسة أجنبية وأنا صغير واشتغل فى
شركة سياحة كام شهر.

حصلنا ببساطة على التأشيرة وسافرنا فى موعدنا والأهل
والأصدقاء يودعوننا ويحسدوننا على حياتنا التى ستكتمل فى
أمريكا.. رحلة طويلة.. نزلنا نيوجيرسى.. وبعد حديثه مع ضباط
الجوازات والجمارك سألته فى إعجاب:

- ليه مارحتش هوليود علشان يخطفوك.
ابتسم لمداعبتى وقبلنى كالعادة فى الطريق العام دون خشية
أى عيون مراقبة أو فضول للآخرين.
وصلنا إلى الشقة المتفق عليها، وعشت أيامى الأمريكية أحاول
تذكر ما تعلمته من كلمات وكانت الكافية فى التعامل مع الناس.
مضت الأيام فى أمريكا سهلة، لأن نبيل الرائع استطاع
تجميع العدد الكبير من المعارف لكى يطرد وحشتى وتذكرت مرة
حديث بينه وبين أخته عن قريبة لهم فنانة تعيش مع والديها
فى أمريكا.. وقبل السفر أعطتنى بياناتها.
تحدثت إليها هاتفيا وباليتنى ما تحدثت إليها فلقد توترت
ملامح نبيل حينما أدرك أننى تحدثت إليها وأعطيتها عنواننا
وتمنيت زيارتنا سألته فى فضول إن كانت زيارة إلهام لنا ستسبب
المشاكل فلا داعى منها.

صمت قائلا فى وضوح وصراحة:

بينى وبين إلهام علاقة قديمة.. وطبعاً مش عايز أعرف أى
حاجة عنها لأن كل واحد راح فى طريقه.
صعقت وشحب وجهى حينما نظرت فى المرآة القريبة أمامى
وخضت كأقفة تجربة كل امرأة وزوجة وأم وتصنعت الهدوء
وأصررت على أن تزورنا أو نزورها.

ابتسم قائلاً فى هدوء يحاول إقناعى :

إحنا أصحابنا كثير هنا.. وأنا عارف أنى هانزل مصر قريب
وممكن لما ننزل مصر نبقى نزورها أو تزورنا يا ستى مفيش أى
حاجز أنا عرفتها زمان دلوقتى هى متجوزة وأنا متجوز مفيش
مشكلة من أن إحنا نتقابل ولكن رأيى.. لأ.. وبلاش.

تصنعت الهدوء والموافقة، وإلحاح داخل كل امرأة تريد أن
تعرف رصيدها لدى الناس وزوجها.

حدثت تطورات كبيرة فى أمريكا، أثناء متابعتى للحمل فى
المستشفى القريب قال لى الطبيب إن لديه صديقاً طبيب تجميل
وأن كثيراً من زبائنه من الشرق الأوسط فى مستشفى قريب
للتجميل وعلاج التشوهات الخلقية والجسدية، وأننى أستطيع
زيارته بعد الولادة.

سألت نييل أن نذهب إليه فى الأيام التالية، ودون علمه
اتصلت بإلهام لأحدد الموعد الهام الذى أريد أن أعرف منه سرا
من أسرار نييل الذى يحرص دائماً إخفائها وعدم الخوض فيها
أو إعلامى بالكثير من ماضيه وحياته الماضية.

إن رغبة المرأة فى الامتلاك حتى مع القبيحة ليس لها حدود
ورغبتها فى إبراز جمالها حتى ولو كان ضئيلاً يفوق كل الرغبات.

إننى أريد امتلاك كل نبيل الماضى والحاضر والمستقبل وأريد أن أكون أكثر جمالا وطموحا حتى لو كنت أحلم بأننى سأصبح أجمل نساء الأرض.

جاء يوم الموعد، وخرج نبيل مع مى وتركنى للراحة فى الفراش واتفقت مع إلهام أن تحضر مع زوجها وابنها للغداء، وطبعاً كنت أدعوهم فى مطعم من المطاعم القريبة.. وأنا دائماً سعيدة على المائدة لأننى أتجاوز دون أن أفكر فى أى شىء جديد سأقدمه أو أثناء عملى طبخى فأنا بعيدة عن المطبخ وأنشغل بالحديث مع الزائرين فى لباقة تعلمتها من الحياة الجديدة بعد تعرفى على نبيل.

نصحنى نبيل أن أدعو أيضاً صديقه منير وزوجته وأطفاله حتى تكون المائدة على حد قوله (عمرانة).

فى الموعد المحدد حضر منير وزوجته اللبقة الراقية وأطفاله السعداء، وبعد فترة حضرت من المكان البعيد إلهام وزوجها وابنها والتي يطلق عليها بالمصرى (يخرب بيتك إيه الجمال والحلاوة دى) صوتها العذب الموسيقى وزوجها الرائع وابنتهما يوحيان أن هناك جمالا سقط من السماء عليهم ليشكلا هذه العائلة الرائعة.

اتصلت بنبييل، جاء صوته كالمریض یرد فی توسل غریب لم
أعهدہ فیہ :

— معلش أصل می بتلعب وأنا هتأخر ابدأوا أنتم واعتذری
نیابة عنی.

ابتسمت فی خجل واعتذرت عن عدم حضور نبیل وبرغم
أننی أقرأ بصعوبة لغة العیون إلا أننی أدركت أن هناك توتراً علی
إلهام أصابها فی مقتل برغم أنها تحاول إخفاءه.

سألتها وأنا أرید أن أعری وأكشف كل شیء — فی فضول
قاتل — قد یقتل علاقتی بنبیيل، سر سعادتی :

— كنتی بتشتغلی إیہ؟

ردت بهدوء :

— فنانة.

— ممثلة؟

— لأ.. عازفة بيانو..

— اشتغلتی فی مصر؟

— مصر وأمريكا.

— لسه بتشتغلی؟

— آیوه.

نظرت إلى زوجها وأنت؟

- مهندس في شركة Beck العامرية.

- من زمان؟

- أيوه من زمان لأن والدى هاجر من زمان هنا.

بتتكلم عربى كويس.

بابتسامة كبيرة:

- البركة فى إلهام.

حاولت أن أكون المضيقة البسيطة ونظرت إلهام إلى تؤكد

أننى لست على مستوى نبيل الوسيم سألتها ببساطة.. وأنا أقصد

أشياء كثيرة:

- ليه مازرتناش لما نزلتى مصر؟

- الواحد بيكون مشغول قوى لأننى بأخذ إجازة أيام قليلة.

- على العموم إحنا سعداء بزيارتك لنا وأتمنى نبيل يجى

بسرعة مش عارفة ليه اتأخر، أول مرة يتأخر كده.

بدأ منير بلباقة فى كسب مودة زوجها والجميع يشارك فى

حلاوة الحديث، وأنا أحاول أبذل جهدا غير اعتيادى للسيطرة

على عواطفى المتنافرة من إعجابى بجمالها وشخصيتها ومحاولة

نبيل التباعد عنها وعن زيارتها، ولماذا أعطتنى أخته اسمها

وتليفونها إن كان هو يرفض التواجد معنا، فلقد سبب لي إحراجا وخاصة وقت الانصراف.

جاء نبيل يحمل مى النائمة، شاحب الوجه، زائغ البصر يعتذر لى عن عدم حضوره وأن الأسباب الكثيرة.

حاولت أن أستجمع شتات أعصابى، وأنا كالعادة على صدره الطيب الذى كان قلقا وكأنه مرة واحدة قد أصبح الصدر الضعيف الذى لا أعرفه.

فى الصباح الباكر، وكغير العادة استيقظ نبيل وخرج إلى الطريق بحجة الجرى الرياضى كعادة الأمريكان كل صباح.

انتظرتة على الإفطار وكان رقيقا بمبالغة أردت أن أفوق منها إلا أن آلام الحمل زادت فذهبنا معا للمستشفى وحجزتني للولادة.

أنجبت طفلا رائعا، ملامحه كنبييل، وكأن الدنيا لا تريد من الإنسان سوى الرضا وسوف يحصل منها على الأكثر.

نبيل سعيد، زال توتره، وكأنه يؤكد أنه يعيش حياتنا المتكاملة، جاء السبوع.. وحضرت أخته من القاهرة لتشاركنا

أفراحنا، وأنا أتساءل لماذا حضرت وما هو تفكيرها ولماذا تتدخل فى الأوقات الحرجة دائما بكلمات مبهمه؟

فى السبوع ، قابل نبيل سعاد أخته التى أحضرت لوازم
السبوع من مغتات ودقت الطبول والرق والأطفال والشموع وأنا
سعيدة كوني أما.. وحول أصدقائى وأقاربي ومعارفى .

فتحت أبواب جهنم على نفسى وعلى أسرتى بإصرارى
حضور إلهام الحفل ، وحضرت إلهام رائعة الجمال هذا الجمال
الهادئ ورقة ودقة الملامح والعيون العميقة التى تؤكد الإحساس
والتعبير عنه وكلمات الفنان حينما تنساب بسهولة من الشفاه .

أعشق نبيل وأعرف صفاته ولمحاته ، وتوتره وانفعالاته ،
وهكذا حينما صاح إلهام.. ثم نظر ملتفتا لى وكأنه يعلن رفضه
ولومه على فتح جروح الماضى وأبواب اللعب بالنار .

السبوع كان مسمار الشك ، مسمار القلق ، مسمار النهاية .
لا تتعجلوا فى سماع تواصل الأحداث .

مع نعمة ورضا إرضاع الطفل واحتضان نبيل لى وكأنه يريدنى
أن أسقى ابني السعادة والأمان كانت عيونى التائهة تتساءل عن
حقيقة العلاقة والمشاعر .

سكوت نبيل يقلقنى ، ابتعاده عن الرد يزيد فضولى ، سعادة
أخته فى الشوى على النار لا أفهمها .

مضت الأيام وأنا أروض كريم الشبيه بنبييل وملامحه تكبر كل يوم، وسعادتي تزداد مع ابتسامته، وأقرب من تعاستي حينما أحاول أن أقرأ ملامح نبييل.

ذات صباح وهو كعادته الجديدة في رياضة الجرى أشار على بزيارة طبيب التجميل ربما أراد إلهائي أو تصور أنني من الممكن أن أنسى إلهام.

ولكنه عالم صغير.. حينما انفردت بسعاد أحاول أن أعرف منها أسرار العلاقة بين نبييل وإلهام.

وأنا أروض طفلي.. وأعيش دقائق سعادة الأم قالت سعاد وكأنها تقطع بسكين جاد حياتي:

نبييل وإلهام مثال الحب الهيمان من أيام زمان، وبعدين ببساطة ككل اثنين أتقدم لها، لكنه كان متهورا في التجارة يبيع ببساطة ومن الممكن النصب عليه أو التهاون أو حتى التوهان.. داين المحل والشغل.. وكل ده علشان إلهام وحبها لها وخروجه وسهره وهداياها.

ظهر الحزن في ملامحها وفهمت منها أنه كان لديها عريس قادم من أمريكا وكيف كانت سعيدة، ولكن حقيقة الإفلاس أو ضياع الرأسمال بسبب رعونة نبييل لم ينجح هذا الزواج لأن

الشرط كان الإقامة بالقاهرة وتأثيث بيت فيه ولكن ضياع المال وهزة العائلة أجلت كل شيء.

أصر والد إلهام على فصل الارتباط، وسافر العريس وأنا على أمل بتغيير الأحوال وأن يعود إلى.

شهور قليلة وحصلت المصيبة... تقدم العريس نفسه لإلهام.. واتجوزها في فرح أسطوري وخذها إلى لبنان ومنها لأوروبا وبعدين أمريكا.

صحيح اتجوزت بعدها بعد ما اتحسننت حياتنا التجارية بفضل أخواتي وسعمة والدى ولكنها جوازة سريعة.. معرفش إن كنت بحب جوزى ولا لا.

ونبيل انطوى على نفسه، وبدأ يشتغل كام شغلانة وكل يوم مع واحدة شكل، اعتبرناه نصاب ومش من العيلة وكرهناه كلنا وكأن بيننا وبينه ثار وكل ما أتخايق مع جوزى أو أشوف مشكلة أفكر فى الانتقام من السبب، أخويا هو بيحببنى ومسامحنى فى كل حاجة ضده باعملها ولكن أنا مش مسماها.. علشان كده اديتك عنوانها وعلشان كده عايزاه يدفع الثمن لأنه برغم كده بيحاول يعيش الحياة بأى حاجة فيها لكن أنا مش مسماها. سألتها بجرأة لم أعهدا فى نفسى:

- هو كان بينك وبين الأمريكانى ده علاقة؟
- المصيبة الأمريكان مايعرفوش حاجة عن الشرق من أول يوم
عايز يعرفنى ويبوسنى ، وسكتت قائلة ويعكننى.
- اندهشت وتساءلت فى خبيث :

- ووافقتى؟

- كأنها قررت الانتقام ، كان أول راجل فى حياتى يعلمنى
الحب وحلاوته وأحلامه.. وسعادة أيامه علشان كده أنا مش
مسامحه.

شردت بنظرى وسافرت سعاد وسرها فى قلبها ، وانقلبت
حياتى مستسلمة للقدر الذى يريد من الناس أشياء وأشياء ، لم
تكن فكرة نبيل السفر لأمريكا ولم تكن فكرته مقابلة إلهام.
وكأن العالم يسكانه الملايين لا يمكنهم الامتناع عن مقابلة
بعضهم ، أثناء الحج يتقابل الحجاج مع معارضيه فى مصر برغم
الملايين المشاركة.

وفى أمريكا لم يكن سهل مقابلة إلهام ولكن رغبة العناد
والانتقام فى أخته ورغبتى الملحة فى التعرف عليها كانا من
أسباب الألم الذى يضيق به صدرى.

أصبحت أرى قباحتى أكثر فى المرآة ، وأصبحت أزور طبيب
التجميل وأرسل فى طلب المزيد من المال من مصدره فى القاهرة..

وحددت أولى عمليات التجميل التي ستأخذ الكثير من الوقت والمال.

انطوى نبيل مع محاولاته مع أبنائه ومعى وكأني فتحت جراح صعبة الالتئام.

بعد أول عملية تجميل وتشجيع نبيل اعترفت له بخطأى فى عدم تقدير رأيه فى عدم زيارة إلهام، ابتسم وهز رأسه كأنه يدرك طبيعة الأشياء وكان رده:

– ها نرجع مصر وهانكون أحسن من الأول.

وكأني أعاند وأركب طوق النجاة.

– مش قبل ما أكمل جلسات التجميل وعملياته.

صمت تام بيننا وكأنه يسألنى لماذا تريدان أن تكونى جميلة ولن؟!!

مرت الأيام ونسيت إلهام قليلا لأن مسألة الجمال بدأت تشب إلى عمرى مرة واحدة، أزيلت الكتل اللحمية الزائدة، وسعت عيني حتى شعرى أصبح مختلفاً، آلاف الدولارات تنسكب لتصنع منى امرأة جديدة وهكذا بعد شهور قليلة أصبحت جميلة. بدأت فى ممارسة الرياضة وشغفت بها وأحسست الإحساس الجديد، ولم أتفهم مرة نبيل وكيف زهبت الأيام الجميلة الرائعة التى كانت بيننا.

لم أتعود أن يشرب نبيل ويثمل مع الكأس، وهو يحتضن مي
النائمة سألته عما بيننا.

لم يشأ أن يجرحني فقال:

إنتي دلوقتي جميلة، يمكن أجمل من أى واحدة، ولكن أنا
كنت شايف أنك بتحبييني أكثر قبل مايجى جمالك، وكان لك
الحق أنك تعملى العملية، لكن أنا كنت شايفك جميلة برغم
نظرات الناس لأنى كنت شايف أن كل إنسان داخله جمال، وأن
حبك لى زود جمالك فى عينى فى الوقت اللى الناس اتنكرت لى
وظلمتنى واتحرمت من مال عيلتى وكأنى طفل أو معتوه أو سفيه.
كنتى محتاجانى احتياجك ليا دفعنى أطلع أفضل اللى عندى
دلوقتي أنتى الجميلة الثرية وكل حاجة... أنا عندى إيه أقدمه؟
شغلى وأنا عارف أنى فاشل فى إدارة الأعمال وأنى جوز الست
فى عملى، كنت حاسس أن إحنا واحد أقدم لك الحب وأنت
تقدمى لى نفسك.

علشان كده كنت باحترم حبك ورغبتك فى كنا بنكمل بعض أنتى
بمشاعرك ناحيتى.. وأنا بعطائى لك.. لأنى ما كنت أملك إلا عطائى.
لم أكن أتصور نفسى أقول يوما هذا الكلام.

يعنى كنت بتعمل معايا كل ده علشان أنا باديك مشاعرى
لأنى مش شايفة فى الدنيا غير جمالك.

أشار إلى وهو يتحدث بصعوبة بتأثير الشراب :

– أبدا أنا زى ما كنت لقيت اللي بادور عليه.

– والعربية والحاجات اللي بيننا.

كده يا سحر أنتى تجاوزتى الحب والاحترام بيننا مش قادر أكمل الكلام وهاقوم أنا.

نام، وأنا نادمة على كل كلمة، أحاول أن أتذكر ما قاله وأجد العيب فيه وأنا أحاسبه وألومه على كلامه.

جاء الصباح وتدرّب، وبدأت الحديث معه، وسكت لم يتحدث أو يرد بأى جواب مرضٍ شعرت أنني أخسره وبدأت فى إثارته ليرد فقال ببساطة :

– الجواز والحب هو تكامل احتياج كل طرف للآخر.. ثم نظر للأطفال وسألنى :

إمتى هانرجع مصر؟

رديت بسرعة.

– الأسبوع الجاي.

كنت قد بدأت الحديث بالإنجليزية وفكرت فى شراء محلات سوپر ماركت فهى تدر الربح، وحجزت تذاكر العودة فلقد كان واضحا أن الإقامة فى أمريكا لها نظام.. وهكذا بدأت فى التجهيز للسفر وشراء ما أرغبه حتى جاء الهاتف من منير.

- سحر عرفتى خبر إلهام.

- خير فيه إيه؟

- فى المستشفى.. حصلت لها حادثة كبيرة.. قول لنبييل.

حصل إيه بالضبط؟

- وقعت العربية من الجبل، جوزها فى العناية المركزة،

وابنها مات وهى فى حالة خطرة.

سكت وصمت ولم أرد وفوجئت بنفسى أغلق الخط وكنت

أريد أن أشاهد نبييل حينما أنقل إليه الخبر.

كعادته يحمل الأبناء يمرح بهم.. يعيش سعادتهم.

انتظرت حتى اغتسل وغير ملابسه وبدأ فى التحضير للغداء

نظرت إليه وكان يتوقع - كعادتى فى آخر أيامى - محاسبته سألته:

- تعرف بيت إلهام فين؟

نظر بعين ورد بدون اكتراث.

- لا.

منير اتصل كان عايز ينقل لك الخبر.. ماتزعلش.. إلهام فى

المستشفى وجوزها كمان ومات ابنهم.

زاغت عيناه ووضع رأسه فى كف يديه وكأنه يغلق آلامه

وصراخه.. ومضت دقائق صعبة لا أتحدث ولكن صوت مى التى

تريد اللعب معه أخرجه من مشاعره.

قام للهاتف وسأل منير وسكت والدموع تريد أن تنتصر لقد
أكد حبه لها.. وأكد حزنه على حالتها.

طلبت منه أن نزورها معا، لم يعترض على شيء كأنه طفل
سلم قيادته لمن هو أقوى وأفضل منه.

لم أشأ أن أشاهده ضعيفا هكذا، أو متوترا ومهزوما، وأسئلة
داخلي تدفعني ما هو سر تأله، وهل هو فعلا يحبها وهل مازال،
وما هو دوري ودور أبنائه معه، مستقبلنا وبيتنا وأسرتنا التي
أنشأناها معا.. وصلنا قبل السفر بيومين إلى المستشفى البعيد وقد
قاد نبيل السيارة وهو شبه تائه قليل الكلام مشتت الفكر ساهم
في كل شيء ولم أكن أتصور أنه من الممكن أن يتغير.
بالمستشفى كان الخبر اليقين.

زوجها غائب عن الوعي، خضعت هي لعملية بتر لليد وكسر
في معظم أنحاء الجسم، مأساة تألت لها وكأنني فعلا أفتح باب
جهنم على مشاعري المضطربة.

نبيل تسقط دموعه، المصيبة أنني شاركته مشاعره، فأنا
إنسانة الألم فقد الأشياء وضياع الجمال وخراب الدنيا والعالم.
تذكرت مرة واحدة نبيل وما قدمه لي، وكيف أننى لولاه
لكنت العانس القبيحة القابعة في بيتها.

أجلنا السفر لأسبوع آخر، ولست أدري لما كان إصرارى على ذلك ولكن هناك من نقل لى خبيراً مروعاً، وكأن الحوادث لا تريد أن تترك الإنسان أو كأننى كنت أعيش حلم جميل فى حضانة نبيل وبدأت أحلام الكوابيس.

ماتت أمى.. بكيتهها ولممت أشياءى وسافرت إلى القاهرة فى أول طائرة، لقد كنت أعتقد أن مرضها سيلازمها طيلة عمرها ولكن الموت كان رحيماً بها.. وآخر مرة حدثتها فى التليفون قلت لها:

- اتغيرت يا ماما عمليات التجميل خلقت منى حاجة جديدة.. القاهرة الرائعة بيتى وأشياءى وعائلتى وأصدقائى ينتظرون الجديدة.. الجميلة.

بدأ الجميع يحسدنى بحق، الجميلة الثرية، الأسرة الهنية، الزوج الوسيم الرائع.. الابنة التى يظهر جمالها مع مرور الأيام والطفل التى تؤكد ملامحه أنه ممثل من ممثلى السينما.

ونسى الجميع أن زوجى قد فقد كل شىء رائع وجميل داخله، الجميع يتوق لمقابلتى ويشاهد ملامحى وتغيرها وجمالى الجديد الذى يؤكد أن القدر رحيم بنا وأن الحياة مازال فيها الجمال، صحيح ثقتى بنفسى زادت ولكن كان ينقصها روحها،

روح نبيل الهائمة بعيدا عبر المحيط إلى حيث هناك المصابة
المتألة الضائعة فاقدة الابن والزوج والحياة.

لم أشأ أن أتحدث معه بشأنها فلقد تسببت بنفسى وبقصد فى
إحضارها والنبش فى ذكرياتها والحديث عن أيامها وما تركته
من آثار بينهما.

مضت الأسابيع أحاول أن أنشأ أسرة جديدة وأمارس الحب
كعادتى ولكن كان هناك فى نبيل مشاعر لا أستطيع أن أغوص
داخلها لم يعد يقبلنى كعادته بعمق، ولم يعد ينتشى كما كان ينتشى
فى السابق ولم يعد هو الرجل القوى الذى أحتضنه وأنام فى حضنه.
يبذل قصارى طاقته فى إعطاء الأبناء كل المشاعر، وأخوتى
بعد رحيل أمى لم يعد لهم مكانة كبيرة فى حياتى.

المال فى يدى يزداد ولم أعد أهتم سوى بمظهرى الجديد
الجميل وأحاول أن أعود كسابق عهدى، وقد أنشأت صالة كبيرة
للألعاب الرياضية وعيادة تجميل وأنا أحد أكبر زبائنهما.

النهاية المتوقعة التى كنت أخشاها جاءت بكل شراستها،
رحل زوج إلهام.. وأصبحت عاجزة وحيدة.. نبيل الإنسان روحه
تدفعه ليبحث فى الميزان عن مكان.

هل من العدل أن يترك زوجته وأبنائه ليزورها، أو ينساها
ويتركها لمصيرها؟

قال لي ذات صباح إنه يريدني في المساء بعد نوم مي في حديث.. حاولت أن أتحدث إليه ولكنه رفض إلا في الميعاد.
كعادته جميل رائع..

جلس في مقعده ومكانه المفضل ونظر لعيني يحدقني كعادته
أننى منقذته من نفسه ومباضيه وقال باختصار:

- أنت سبب لمعنى الحياة بعد الضياع، ثم أردف: أنت
أصبحت الجميلة التي يحسدها الناس على جمالها.

وتابع كلامه أنه سيسافر إلى أمريكا ليساعد إلهام في تجاوز
محنتها.. ذهلت وبدأت في الكلام واللوم.. والصوت العالى.

سألنى في رجاء:

- لو كان بينا خير وده كثير ساعديني أن أسافر وأحاول
مساعدها فى مصيبتها، أنا أسأت لها فى بداية حياتها،
وحاولنا تجاوز الفراق اللى مكانش لنا يد فيه، وأننى أخطأت
فى حقها وظلمتها وظلمت غيرى مكانى دلوقت أخذ بيدها.

ثم أردف بصدق وهو يمسك يدي ويقبلها:

- حبيبتك وأخلصت لك وأديتك مشاعرى وحبى ووفائى ولكن
الزمن بيتغير، مش هالومك أنك اتصلت بها يمكن ده أحسن شىء
فى حياتى عملتيه لى لأعوضها عن ظلمى ليها.

كدت أن أصرخ.

- يعنى غيرى هاتكون له.

- لا أنا أقوم بدورى فى رفع الظلم عن إنسان وحيد مصاب

فى ابنه وجسده وزواجه.. مليش فى حياتك دلوقت دور، ولكن
هناك هايكون لى دور.

- يعنى زى ما عملت معايا هاتعمل معاها شفقة وإحسان رد

بسرعة:

- اللي كان بينا عطاء والحب عطاء.

- طيب أدينى الحب ده.

- أنتى خلاص مش عايزاه، معاكى كل حاجة تفتكرى أنك

ممكن تشتري بها السعادة.

- تقصد العملية؟

- قبل العملية كنت طبيعية وكننت بحبك لأنك طبيعية،

التصنيع والتصنع بيقتل كل جميل، كنت جميلة دورت على

الجمال مسك القبح ليه.

- يعنى كنت قبيحة وبقيت جميلة؟

- لا كنت جميلة واتغيرتى علشان عيون الناس.

- هاتروح وتسيبنى لين وفين؟

- الدنيا دلوقتي بقت ملكك أنا ماعرفش هاعمل إيه ولكن
أكيد الدنيا فى أمريكا برغم ثرائها وحياتها وجمالها عايزانى
ومحتاجة لى.

نظر للساعة قائلاً:

- هاتصل بك كل يوم.

فى زهول قبلنى واحتضنى وأنا جالسة وتركنى فى زهول تام.
هكذا أصبحت النهاية.

سافر نبيل وحافظ على وعده، واتصل بى كل يوم كما وعد،
ولكن هناك كانت إلهام.. التى احتضنها كما احتضنى وأعطاهما
الثقة كما أعطانى.. ولم يتحدث عنها ولكن منير الصديق المشترك
تطوع قائلاً.. إنه عاش معها ليصنع منها معجزة بعد فقد يدها
أصبحت تعزف بيد واحدة وتبدع وتعيش الحياة الموسيقية كفنانة
معوقة وتحافظ على ابتسامتها ورقتها وتصفيق الجماهير لها.

وظل دائماً نبيل خلف الستار يدعمها.

وجدت نفسى فى العمل.. وأبنائى يسألون عن والدهم وأنا
أقول لهم إنه مسافر وكل شىء نصيب.

هنالك موظف صغير، يتحدث قليلاً مرضت زوجته وتركته
بعد مشوار طويل مع الألم وتركت له ثلاثة أبناء.

ببساطة وبمبادرة منى زرتة فى بيته المتواضع ، وعرضت عليه
فكرة الانتقال عندى.

هكذا منحت الصغار الرعاية والحب وحاولت أن أعلم والدهم
أن الدنيا فيها الكثير من الجمال فى العطاء.
تجاوب الرجل.. وبنظرة كنت جميلة الجميلات ولم يكن
يدرك أن هناك من علمنى أنه بالعطاء نصنع الحب والجمال.

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٥٧٢٣
التريميم الدولى	ISBN 978-977-02-7857-4

١ / ٢٠١٣ / ٥٨

طبع بمطابع نار المعارف